

ابراهيم المصري

اضواء على الحب والمرأة والزواج

بقلم ابراهيم المصري

* * *

نشيد الحياة

ان اروع ما في الحب هو انه يلهب دفعة واحدة كل قوى الانسان . فالمحب يفكر في محبوبه بعقله ، ويحن اليه بقلبه ، ويتمنى قربه بجسده . فقوى العقل والقلب والجسد تشترك جميعا في ابداع نشيد الحياة .

جمال الخيال

نحن عندما نحب نتصور محبوبنا مثال الجمال ، فنود ان نسرع ونقوم من اجله بكل عمل جميل . فجمال الخيال يوحي الجمال في الاعمال . وهذا هو السر في فضائل البذل والتضحية التي تصدر غالبا عن معظم العشاق .

الانسان والحب

مهما احب الانسان فقلبه المضطرم الطموح يظل تواقا الى حب اقوى واكمل واعظم ، يشقيه الحنين اليه يقينا خفيا منه انه لن يعرفه أبدا .

في مطلع الحب

الحب رائع في اوله ، لان الانسان في مطلع الحب لا ينظر الى الجسد فقط بل الى الروح ايضا ، ولا يشتهي محبوبه فقط بل ينظر اليه كمثل أعلى . فالخلق الكريم والنبل الاصيل ومختلف ضروب السمو المعنوي ، كل ذلك يخلعه الحب على محبوبه في مستهل حبه ، فيحس ان محبوبه ملك وانه هو نفسه .... تلك هي السعادة الكبرى . وطوبى لمن في وسعه بعد ان تمضي الايام والاعوام وتفتر شعلة الحب ، ان يحتفظ ولو بظل من مثله الاعلى ، وأن ينقذ من تلك السعادة المعنوية الرائعة ولو بعض الحطام .

الحب والذكرى

الرجل الذي تنصرف عنه المراة التي يحبها يستغرب منها كيف تتبدل فجأة وتقسو وتنسى في لحظة ذكريات حبهما القديم . اما المراة فتستغرب من الرجل كيف يتشبث بتلك الذكريات البائدة وكيف يعتقد ان الماضي لا يمكن ان يموت . فالمراة تتبع الحياة المتجددة ، والرجل يتبع الفكر الثابت والخيال الباقي . وهذا ما يفسر لنا ان اعظم شعراء العالم كانوا رجالا ، وان اضعف ما يحرك قلب المراة هو الذكرى .

الحب لا يختار

الحب لا يختار على ضوء الفضائل والاخلاق . فانت قد تحب بالرغم منك امراة وانت تعلم علم اليقين انها أحط المخلوقات . بل قد يكون انحطاطها نفسه هو الذي أضفى عليها في نظرك حلة غريبة طريفة الهبت فيك العاطفة ، واضرمت في قلبك النار .

فاحرص في حياتك على سمو فكرك ومنزعك ، واتخذ لك في المراة مثلا خلقيا اعلى ، لتستطيع ان تدافع عن نفسك مهتديا بهذا المثل فيما لو اصابتك الاقدار بحب امراة لا اخلاق لها ...

خلاص باطل

كل من يحب يود ان يتخلص في النهاية من قيده . ولكنه لا يلبث ان يتخلص منه حتى يسرع فيحمله الى أيد جديدة ملتمسا اليها ان تطوق به عنقه ...

الناسك والعربيد

قد يزور الحب قلب الناسك ، ولكنه لا يطرق ابدا قلب العربيد .

الثروة والسعادة

قد تمتلك الثروة دون ان تجد السعادة ، وكذلك قد تمتلك المراة دون ان تجد الحب .

مكائد المراة

ان مكائد المراة مهلكة . ولكن هذه المكائد تدبر في اعماق نفسك انت وفي كهف شهوتك قبل ان يدبرها عقل امراة . واذن فلا مكائد تسوية خطرة عليك الا تلك التي تريد انت تقع فيها .

رسائل الغرام

ان رسائل الغرام كثيرا ما تستهلك الغرام . فاياك ان تكتب لحبيبتك رسالة تودعها كل ما يضطرم في نفسك ، والا فسوف تشعر عندما تلتقي بها ان ليس في جعبتك شيء

جديد تقوله لها .

ماذا تتعلم من المرأة ؟

يجب ان تقدر فضائل المرأة ولكن في حيطة وحذر . ذلك لان المرأة مجموعة من المتناقضات . فهي تعلمك الادب ، وبجوار الادب قد تعلمك المصانعة والرياء .

وتعلمك العواطف ، وبجوار العواطف قد تزين لك الضعف والخمول والتعلق بالخيال .

وتعلمك الشجاعة ، وبجوار الشجاعة قد تسوقك الى التهور والاقدام على شر المغامرات .

وتعلمك النجاح ، وبجوار النجاح قد تلهب فيك نزعة الوصولية ، وتدفعك الى ارتكاب كل محرم في سبيل الظفر بالمال .

فانت بالقرب منها يجب ان تحرص على تنبه عقلك ويقظة ضميرك والا هلكت .

حرية المرأة

اذا كنت تحب امرأة لا تحبك ، فاكبح جماح غيظك وكبرك ونزعة الاستئثار الغاشمة الكامنة فيك ، واحترم حرية المرأة وابتعد . القلب لا يؤخذ عنوة ، والحب لا ينتزع قسرا ، ومشاعر الكره تتولد من ارادة الاكراه . اما متعة الحب الصحيح فلا تنبع الا من المشاركة الراضية التي هي رمز المساواة والحرية ، لا من الضغط التعسفي الذي هو رمز الانانية والطغيان .

طريق الشفاء

ان ملذات الفكر هي وحدها التي تشفي من جراحات القلب .

السلوك ابلغ من الكلام

لا تقل لزوجتك : انا وفي لك . استقامتك وحدها تكفي !

ولا تقل لحبيبتك : سأكون وفيا لك . حبك الصادق وحده يكفي !

ولا تقل لامرأة خانتك : انا نادم على اني كنت وفيا لك . احتقارك وحده يكفي !...

الحب الصحيح

الحب الصحيح يصون المرأة ، ويكسبها عزة في النفس واستقامة في المسلك والطبع ، بل يكسبها مناعة عجيبة تتكسر حيالها مختلف وسائل الاغراء ، يلوح لها بها اجمل وافتن واغنى رجل .

انوثة كاملة

المرأة متى احبت حقا ، تحب بأنوثتها الكاملة أي بوصفها امرأة واما . وحيث ان الطبيعة قد اعدتها للامومة اي للتضحية المطلقة دون توقع اي شكر او جزاء ، فهي تنقل هذا الاحساس في محيط حبها للرجل . فتغدق عليه ذلك الحنان العجيب المقرون بالصبر الجميل والاحتمال السعيد والبذل المتفاني ، والذي هو انعكاس عاطفة الامومة في نفس المرأة على عاطفة الحب .

فضيلة الوفاء

اذا احبت المرأة حقا فهي تؤثر ان ترى حبيبها ميتا على ان تراه خائنا . وهذا يدل على ان المرأة اشد تعلقا من الرجل بفضيلة الوفاء ، وانها مهما احبت بقلبها وحواسها فهي لا تستطيع ان تنسى في الحب كرامتها وعزة نفسها .

كرامة الجسد

الغانية لا تكاد تهب نفسها لرجل لقاء بعض المال حتى تشعر انها قد ماتت بوصفها انثى . فتسرع وتمنح ذاتها دون مقابل للرجل الذي تحبه . واذن فكرامة الجسد اصيلة في المرأة . والمرأة لا تسعد حقا وتسمو في نظر نفسها الا اذا اثبتت كرامتها بالحب المنزه عن المصلحة حتى ولو كانت غانية .

شقاء المرأة

السر في شقاء المرأة انها تؤمن بالحب ، ولكنها في صميم نفسها لا تستطيع ان تؤمن بالرجل .

بين البغض والكره

الرجل يبغض ولكن المرأة تكره . والبغض ينبعث من العقل الذي يثيره الخلق السيء ومن النفس التي برح بها عذاب تحتمله وهي ما تزال منجذبة اليه . لذلك هو نوع آخر من الحب عند الرجل . اما الكره عند المرأة فينبعث من دمها واحشائها ، من الاشمئزاز العميق الذي تحس به في صميم انوثتها . لذلك هو يقطع الصلة الى الابد بينها وبين الرجل .

الحب والعقبات

يشتد حب المرأة لحبيبها على قدر ما ذللت في سبيل امتلاكه من عقبات ، ويدوم حبها الشديد له ما دامت هناك عقبات تبعث في نفسها الخوف من ان تفقده .

نسيج العنكبوت ...

العقبة التي تعترض طريق الحب تنهض امام الرجل كأنها حائط من فولاذ . اما المرأة فتبدو لها العقبة نفسها اشبه شيء بنسيج العنكبوت ...

اوهام النساء

من النساء من تود من صميم نفسها ان تحب رجلا فذا في اغراء الحسان ، مشهورا بانتصاراته الغرامية ، على شرط ان يخلص هذا الرجل لها ، ويعف عن غيرها ، ويحبها هي وحدها . ولكن هذه المرأة تخدع نفسها ....

فتنة المرأة

المرأة الرخيصة المتبذلة تنفرنا ولو كانت شابة وجميلة ، والمرأة العزيزة المتمنعة تفتننا حتى ولو كانت كهلة متداعية .

الشدة واللين

المرأة تنشد في الرجل مزيجا دائما من الشدة واللين ، ولكن الشدة في نظرها ليست الطغيان بل الارادة ، واللين في اعتبارها ليس الاستخذاء بل الحنان .

المرأة لا تساوم ...

الملحوظ في المرأة التي تحب حقا انها لا تساوم ابدا على

حبها . لا تقول ابدا انها لا يمكن ان تحب الرجل الا اذا احسن معاملتها . انها تحبه ولو اساء المعاملة . تحبه وتجاهد لتحتمله وتصلحه وتحتفظ به . وهذه القدرة على جعل الحب حافزا للصبر ومثارا للكفاح والامل هي سر امتياز المراة . اما الرجل فمهما كان حبه ، فأقل معاملة سيئة تثيره في الغالب وتسخطه . اذ هو لفرط اعتداده بقوته يعتبر سوء المعاملة امتهانا لكبريائه ورجولته . فلا يصبر طويلا ويكافح ، بل قد ينسى حق الحب عليه ، وقد يحطم في لحظة من لحظات غضبه كل شيء .

نساء حمقاوات

من النساء الحمقاوات من اذا احبت رجلا فهي تحبه للمحاسن التي تراها فيه صديقاتها اكثر مما تحبه للعواطف التي تحس هي نحوه بها ...

ضجر ونسيان

اغلب النساء سريعات الضجر والنسيان . فالضجر عندهن هو الذي يقتل الحب ، والنسيان هو الذي يدفنه .

وحشان يتصارعان

في نفس كل امراة وحشان يتصارعان ، هما الحب والشرف . فاما أن يأكل الشرف الحب ، واما ان يأكل الحب الشرف .

اسرار واسرار ...

الرجل يحرص في الغالب على اسرار الآخرين اكثر مما يحرص على أسراره الخاصة . اما المراة فتحرص على اسرارها الخاصة اكثر مما تحرص على اسرار الآخرين .

المراة والزمن

المراة في حداثتها تغمغم كلمات الحب ، وفي شبابها تلهج بها ، وفي كهولتها تطلقها بين اربعة جدران ، صرخات مروعة اشبه باستغاثات غريق او عواء مسعور .

مغالبة الزمن

المراة الكهلة اذا ابصرت وجهها في المرآة شاحبا ، لم تقل ابدا انها بلغت الخمسين ، بل قالت على الفور انها مريضة ...

يأس وقسوة

المراة لا تقسو في الحكم على امراة تحب ، الا اذا كانت هي نفسها قد يئست من احتمال وجود رجل يبادلها الحب.

مثار اعجابهن ...

الرجال الذين يعجبون النساء ، فيهم معظم النقائص الكامنة في خلق النساء .

عداء مستحكم

المراة تتربص بالمراة وتحصي عليها أبسط هفواتها . وانه لاسهل على المراة ان تدافع عن فضيلتها امام الرجال من ان تدافع عن سمعتها امام النساء .

في مهب العاصفة

المراة تهوى اثارة الحب العنيف في قلب الرجل ، اكثر مما تهوى ان تقاسمه هذا الحب العنيف .

ان لذتها في ان ترى الرجل يتقلب في عاصفة ، وان تحس على الدوام ان سلطانها هو الذي يمكن ان يحبس او يطلق تلك العاصفة .

اطوارهن ...

قد تميل اليك امراة دون ان تهبك نفسها . ومع ذلك فهي قد تغار عليك غيرة مروعة اذا انت حاولت ان تنساها في حب غيرها .

الفرصة السانحة

قد تغتفر المراة للرجل استعجاله فرصة الظفر بها ، ولكنها لا تصفح عنه ابدا اذا تهيأت له تلك الفرصة ثم ضيعها .

الاعتبار الاجتماعي

الاعتبار الاجتماعي قد يستهوي المراة اكثر من الحب . ذلك لان الاعتبار الاجتماعي يميزها في نظر النساء والرجال . اما الحب فلا يميزها الا في نظر شخص واحد فقط ...

المراة والفقير

لم ار امراة تحسن الى فقير ، الا اذا كانت سعيدة مع زوج او حبيب .

المراة والموضة

المراة لن تكف ابدا عن السعي وراء الموضة ، اذ الموضة تخلع عليها في كل فصل من فصول السنة ثوبا جديدا هو في نظرها شباب جديد .

قناع الكبرياء

كثيرا ما تخفي قوة المراة حيال الرجل رغبة عميقة في الشعور بالضعف امامه . وكثيرا ما يخفي تكبرها على الرجل حاجة شديدة الى حبه ، تسترها بكبريائها لتمتحن قوته وترى ما اذا كان في وسعه ان يتشجع ويقوم بالخطوة الاولى .

آفة الجمال الكبرياء

ليست المراة الجميلة هي المراة التي لا بد ان تكون محبوبة . لقد عرفت امراة رائعة الجمال كان الرجال يفرون منها . ذلك لانها كانت تعلم انها جميلة ، فكانت تطلب الى الرجال ان يعجبوا بها فقط لا ان يحبوها . وكانت من فرط غطرستها وشموخها وترفعها ، لا تحاول ان تتبسط وتتواضع وتبتسم لتروق في عين رجل . وهكذا قتلتها الكبرياء ، فعاشت وماتت عانسا ، بعد ان وقع منها ، على حد تعبير الشاعر موسيه ، كتاب الحياة الذي لم تقرأ منه سطرا واحدا ...

عمليات حسابية

المراة شاطرة جدا في جمع المعجبين ، وطرح النقود ، وضرب « القالب » ، وقسمة القلوب ...

عـدوة الحـب

المراة التي يستبد بها سلطان المال واغراء الترف ، يتكون فيها عقل تاجر وروح غانية . وعندئذ تخاف على المال واسباب الترف من عاطفة صادقة قوية تدفع بها الى البذل والتضحية .

وهكذا تصبح قناصة للرجال وعدوة للحب .

بعض نساء البيوت ...

من نساء البيوت من يتبرجن تبرجا تبدو حياله غانيات الشوارع وكأنهن قديسات .

اللحم والتوابل

من النساء من تحتاج الى الاسراف في التبرج كي تثير الاعجاب ، كما ان من اللحم ما يحتاج الى التوابل كي يثير الشهية .

صراحة المراة

يردد الرجال ان المراة تنقصها الصراحة . ولكنها متى تصرفت معهم في صراحة كرجل ، اسرعوا وقالوا انها وقحة .

المراة ومرآتها

المراة كمرآتها تماما ، تهمل الحقائق الباطنة وتسجل في دقة مظاهر الاشياء .

ذكاء وعبقرية

تتفوق المراة على الرجل بالذكاء ، ويتفوق الرجل على المراة بالعبقرية . ذلك لان المراة تلاحظ ، اما الرجل فيفكر .

المراة وحياة الفكر

ان ما يغيظ الرجل المثقف في المراة هو انها ليست في حاجة الى حياة فكرية كي تعيش . اما ما يغيظ المراة في الرجل المثقف فهو اعتقاده الساذج ان الحياة الفكرية هي كل الحياة .

قيمة المراة

قيمة المراة ليست في ابتكار الافكار . ان قيمتها كامنة في قدرتها العجيبة على النفاذ الى فكر الرجُل .

وهي تنفذ الى فكر الرجل لا بقوة عقلها ، بل بقوة بصيرتها المشرقة ، المستمدة من وحي فطرتها .

ولكنها متى نفذت بقوة هذه البصيرة الى عقل الرجل ، لمعت في ذهنها خواطر ثاقبة ومدهشة ، تكمل بها فكر الرجل وقد توجهه .

ثمرة الحب

... واما قيمة حب المراة للرجل فليست في الحب نفسه، بل في الثمرة التي يجنيها الرجل منه . وما ثمرة الحب التي تحيي الرجل الا مضاعفة ما فيه من قوى العزم والارادة والعمل والجهاد ، في سبيل غاية تكون اسمى من الحب ، وابقى من الرجل والمراة على السواء .

عظمة المراة

لا تبدو عظمة المراة الا بجوار فراش المتألمين .

حارسة الحياة

الطفل يلهو بلعبته وسرعان ما يتلفها . اما الطفلة فتحتفظ بعروستها وتحنو عليها . وهذا يدلنا على ان الرجل وان كان يصنع ويبدع الا انه في الوقت نفسه قاس ومدمر . اما المراة فهي التي تعتبر بحق راعية النوع وحارسة الحياة .

لا تتعجل ...

اذا تعجلت في زواجك ، ندمت على مهل ...

حـذار ...

اذا لم تعرف كيف تحكم امرأتك حكمتك . ثم احتالت عليك وجعلتك انت المسؤول عن جميع الاخطاء والذنوب التي تقدم هي على ارتكابها .

عبث واستهتار

من الشبان من يقول لك عابثا مستهترا : لا مفر لي من ان اتزوج . ولكني لن اكون من الحماقة بحيث أحرم نفسي بعد زواجي من اللهو والمرح في صحبة من يروق لي من النساء ... وهكذا يتزوج ويخدع زوجته . ولما يفسد هو اخلاقها ويدفعها الى مقابلة الخديعة بخديعة مثلها ، يثور ويلعن الزواج ويقول عن النساء جميعا انهن غادرات فاجرات ...

الحق والواجب

كل حق يمنحه الزوج لنفسه يجب ان يعترف بمثله لامرأته ، وكل واجب يفرضه على نفسه يجب أن يحتم القيام بمثله على امرأته . وهو كلما كان عادلا في استخدام حقه ومخلصا في النهوض بواجبه ، أغرى امرأته بالتفوق في البذل والعطاء عليه . ذلك لان ضعف المراة يدفعها دائما الى طلب القوة . فاذا لمست في زوجها قوة في الخير نافسته فيها ، واذا رأت فيه قوة في الشر ، تحدته ، وكانت اعمق منه شرا واخبث وادهى مكرا وكيدا وانتقاما .

غاية الزواج

اياك ان تعتقد ان الزواج يبيح لك اطلاك العنان لغرائزك الحيوانية في بيتك ، والتهافت على المتع الجنسية لانها متع حلال . ان غاية الزواج هي الصحة والقوة للفرد والسلالة والمجموع . ولا صحة ولا قوة الا في التعفف . التعفف العاقل الرشيد الذي لا ينحدر الى الكبت الضار، بل يسمو الى الحياة الراقية المتحضرة ، فيأخذ من الملذات الجسدية بقسط ليستطيع ان يأخذ من الملذات المعنوية العليا باقساط . تلك هي غاية الزواج وغاية الحياة . وكل من يخالفها يسلك طريق الفوضى الذي لا بد ان يؤدي في النهاية الى المرض والموت .

اقوى من الحب

القوة الوحيدة التي في مقدورها ان تصنع السعادة الزوجية هي قوة التفاهم المتبادل اي قوة الفكر المشترك ومحاولة استلهام فضائله من صدق وصراحة ونزاهة

وتمرس بالتجارب التي تزخر بها الحياة . ذلك لان الفكر اقوى من الحب ، واستجابة الفكر الى الفكر هي التي تولد استجابة القلب الى القلب ، وهي التي لا يمكن ان تفتر او تموت كما قد يفتر ويموت الحب .

بين البيت والشارع

قد يظل قلب الرجل في البيت عند امرأته ، بينما تكون حواسه في الشارع تتبع كل عابرة سبيل .

مزاعم الرجال

عندما يقول الرجل انه يريد ان يغير حياته ، فاغلب الظن انه يريد ان يغير امرأته ...

زهو وكبرياء

اذا عصفت بلبك عوامل الكبر والزهو ، فمضيت تحدث امرأتك عن الخليلات اللاتي كنت متصلا بهن قبل الزواج، فلن يكون من المستبعد ان يحدثك الناس في غد عن الخليل الذي اتصلت به امرأتك بعد الزواج ...

تقدير الجهاد

المرأة لا تكره التفاني في خدمة بيتها واولادها ، على شرط ان يقدر الزوج جهادها ، ويدلل على حبه لها بعجزه عن الاستغناء عنها واشعاره اياها بأنه في حاجة دائمة الى خدماتها .

أين هو الخطر ..

اذا دب النزاع بينك وبين زوجتك حول مسألة معينة ، فهذا امر شائع ومفهوم .

واذا دب النزاع حول سبب تافه ، فهذا امر ينذر بالخطر . اما اذا لم يدب النزاع بينكما اطلاقا فهذا هو الخطر بعينه ...

ثورة وثورة ...

لا يكاد الرجل يشتبك في احدى المنازعات الزوجية البسيطة حتى يلعن الزواج والزوجة والاولاد معا . اما المرأة فمهما قاست في زواجها فهي لا تلعن الزواج ابدا بل تلعن الزوج فقط ... انها تثور على رجل لا على نظام . اما الرجل فيثور على المرأة وعلى نظام الزواج بأكمله ...

وهذا يدل على تفوق المرأة وتأهبها الدائم لحمل اكبر المسؤوليات ، كما يدل على سرعة تبرم الرجل بمسؤولية ارتضاها لنفسه ولم يجبره عليها احد .

قلب الزوجة العاقر

ان قلب الزوجة العاقر تملؤه الحسرة كما تملؤه اقوى العواطف والاخيلة والاحلام . فالزوج الشهم النبيل الذي يبقى عليها ويراف بها ولا يأخذها بذنب الطبيعة ، يصبح كل شيء في حياتها ، فتغدق عليه اروع مفاتن الحب مجتمعة : حب الزوجة ، وحب العاشقة ، وود الصديقة ، وحنان الام .

مباهاة بالنقائص

الناس في العشق يخفون نقائصهم ، اما في الزواج فيتباهون بها .

سلاح الغيرة

المرأة لا تنسى بسهولة . ومتى خدعها زوجها مرة ، سلمها بيده سلاح الغيرة والشك والحذر ، فطعنته به في كل مناسبة .

ما يفسد المرأة

المرأة لا يفسدها الاهمال فقط او سوء المعاملة او الخيانة، بل قد يفسدها ايضا حب زوجها نفسه اذا الهبته غيرة حمقاء واحالته الى ظلم وطغيان .

غيرة الازواج

كلما كانت غيرة الزوج طائشة ومخبولة ، ضاقت بها المرأة ، ثم سخرت منها ، ثم احتالت عليها وحققت هي اغراضها . ذلك لان الغيرة المخبولة عاطفة « انثوية » مجردة من العقل ، والمرأة تحتقر الرجل الذي يكون مثلها، والذي يشعر بعاطفة مخبولة كتلك التي تشعر بها الانثى ...

شر المساوىء

البخل شر مساوىء الرجل في نظر المرأة . والمرأة قد تحتمل الزوج الفظ الغليظ ، بل الفقير المعدم ، ولكنها لا تحتمل الزوج القادر البخيل الشحيح . وهي متى ضاقت ذرعا ببخل زوجها فقد تصبح دنيئة مثله ، تتلهف على شتى المتع التي حرمها منها ، وقد تغامر بسمعتها وشرفها بل بمستقبلها وحياتها ، وتنشد الظفر بتلك المتع من طريق غير مشروع .

هو الضحية ...

من النساء من لا تحب ان تعذب رجالا كثيرين ، فتكتفي بتعذيب رجل واحد ، هو زوجها ...

عين وعين ...

المرأة ترى دون ان تنظر ، اما زوجها فينظر ولكنه كثيرا ما لا يرى ...

الاعيبهن ...

من النساء من اذا انصرف زوجها عنها ، اصطنعت المرض اصطناعا لتحمله على الاهتمام بها . فاذا لم يكترث مع ذلك لها ، اوحت الى نفسها انها حقا مريضة . فمرضت بالفعل . وعندئذ يضطر زوجها الى الاهتمام بها ...

لذة البطن

من النساء عندنا من تعتقد ان ابلغ دليل على الحب هو اشباع لذة البطن . فمثل هذه المرأة اذا احبت طفلها او زوجها ، اصبحت ولا هم لها الا ان تمتعه بأشهى واندر الوان الطعام حتى تقتله !

شر انواع النساء

المرأة التي تفتح بابا ثم تنسى ان تغلقه ، وتخفي شيئا ثم تنسى موضعه ، وتعتبر بحادث ثم تنسى عبرته ، وتؤتمن على سر ثم تنسى ان تكتمه . هذه المرأة الطائشة هي شر على زوجها من جميع ضروب الكوارث مجتمعة .

افكار غنائية

مجرحات ، كما تهوى المواويل ... فيها الاغاني العذارى والتراتيل
جلوتهن ، واحلام الهوى صور ... خلف الخيال المندى ، او تماثيل
قيل الهوى ، قلت ، افكار مجنحة ... فوق النهايات ، لا قال ولا قيل
تطوى المسافات فيها ، وهي حالمة ... وتستريح برياها التعاليل
ما للملالة في مجهولها اثر ... غير القبابات في الغاوين مملول
يثرني فاغني عارم نزق ... من وحيها البدع مقطوع وموصول
خبأته بأحاسيسي ، فروعني ... وهم وراء احاسيسي وتخييل
ليلي به وقناديلي معلقة ... حرب على غيهب الليل القناديل
يلذ لي كل مجهول به ، فاذا ... فلسفته فهو معلوم ومجهول
وظل يسالني وهمي ، وما علمت ... دنيا الصبابات : ان الوهم مسئول
غير التعلل مرفوض ، تعثفه ... وجدي المدمى وغير الرفض مقبول

هذي الطيوف الحوالي ، من عرائسها ... تلك الخيالات ، او تلك التهاويل
لي يا عذارى القوافي كل تالية ... في فرقها الاشقر الوهاج مجدول
غنيت حبي ، واوتار الهوى سكر ... حلو العناق ولحن الحب تقبيل
ولا اقول : خلا قلبي ، ومهجته ... رعافة ، وهو بالاحلام مشغول
منحته الف جيل من غوايته ... والآن روعه من غربتي جيل
هناك خلف متاهاتي ، وفي سفري ... شعر على الحب موضوع ومحمول

طرطوس ـ سورية

احمد علي حسن

الخيال الغرامي

تقلب المراة هو في الواقع بحث عن الثبات والاستقرار . وهي مهما تقلبت فأقصى امانيها ان تعثر على حب واحد وزوج واحد وبيت واحد ونهاية مشتركة واحدة . ولكن مصيبتها كامنة في خيالها الغرامي الذي يوسوس لها ان هناك حياة عاطفية اجمل من الحياة التي تحياها ، وحبا اصدق واعمق من حب زوجها لها . فاذا عرف الزوج كيف يشبع خيالها الغرامي ، وكيف يقبل عليها في اليوم ولو لحظات ويطارحها الهوى ، ارتدت الى طبيعتها ، ولم تعد تطلب اكثر من حب واحد ورجل واحد ونهاية مشتركة واحدة .

المراة المثلى

المراة العزيزة النفس حقا هي المراة التي لا تشكو من زوجها امام الناس ابدا . والمراة الطاهرة العرض حقا هي المراة التي ترضى بما قسمه الله لزوجها ولا تتطلع الى اكثر منه ابدا .

أخت الروح

كان الفتى المصري في عهد الفراعنة يناجي محبوبته بقوله : « أين انت يا اختي الحبيبة ، يا ذات التقاطيع الدقيقة ، والملامح الرقيقة ، والاهداب المكحلة ، والوجه الباسم الجميل ؟... انا راقد في حجرتي ، والجيران قد وفدوا لزيارتي ، لاني مريض بسببك يا حبيبتي ... اني انظر الى الجيران واقول : آه لو رافقتهم اختي . اذن لاستطاعت رد الاطباء عني ، لانها وحدها تعرف سر دائي وعذابي الاليم !... »

وهكذا كان العشاق المصريون القدماء يتبادلون أمثال هذه العبارات الشاكية الوديعة الساذجة ، كما كانوا يدمجون في الحب روح الاخوة ، تهذيبا له وسموا به ، ورغبة في اقامة صرح الزواج على قاعدة الاخاء الوجداني اي على عواطف الود والاخلاص والحنان والتضحية التي كانت تمثل في نظرهم قيمة الحب الصحيح ، وتعبر عن فضائله الثابتة الباقية .

القاهرة

ابراهيم المصري

عزيز اباظة

هبك غشاك على الصبح المسا … هل طواك الدهر عرفا مؤنسا
قد خلا «المجمع» من شاعره … وطوى «المجلس» (١) منك المجلسا
لم تعد الا حديثا باقيا … لمحبيك ، وذكرا يؤتسى
عرفك الطيب أبقى نفحة … من فواغيك تفوق النرجسا
لم تكن – والله – الا جذوة … تبعث النور ، وتجلو الحندسا
يجد الهارب من ايامه … فيك قلبا نابضا منبجسا
ويرى الفازع من آلامه … رقة فيك اذا الدهر قسا
كنت ألقى فيك شيخ المنتدى … وارى فيك الحكيم الكيسا
واذا ما اعوزتني أسوة … كنت القى فيك اشتات الاسى
لم يطل بحثي عمن أتسي … فلقد كنت الصديق المؤتسى
ان اصادف وحشة من زمني … لم أكن الا بكم مؤتنسا
او أضق صدرا اناديك عسى … أجد الصبر يناديك ، عسى

لست أنساك وقد غنى بنا … هاتف الشعر فزرنا «تونسا (٢)»
رحلة لم تك الا نهبة … من ليالينا ، وعمرا خلسا
مهرجان الشعر كنا صرحه … والاساطين له ، والاسسا
قد أعدنا بهجة الشعر به … واقمنا للقوافي عرسا
وحسبنا «القيروان» انقلبت … موكبا احيا لنا الاندلسا
ورأينا المجد فيها قائما … عربيا ، حافظا ما اندرسا
طابع العزة فيها لم يزل … يتحدى الراقدين النعسا
صائحا في قوة غلابة … : رفرف المجد على أرضي رسا
وانطلقنا كالعصافير بها … صادفت روضا ، فطابت نفسا
وتركنا كل شعر عابث … هاويا ، منخذلا ، منتكسا
وسمعنا فيه من شدوك ما … يبهج الروح ، ويحيي الانفسا
ذلك الشعر الذي ظل على … حرم التاريخ شيئا قدسا
فكان الله حاماه بنا … واقام الله منا حرسا

أيها التارك من آثاره … أثرا من خالص المجد اكتسى
لك في المسرح والشعر يد … كرمت أصلا ، وطابت مغرسا
يد «شوقي» انت قد اسلستها … بأياديك ، فجاءت اسلسا
لكما في الضاد من عليائها … موضع حاشا كما ان يبخسا
ان نكن حزنا النفيسين ، فما … زلت ارجو ان نحوز الانفسا

---

١ – يقصد مجمع اللغة العربية والمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب .

٢ – كان الراثي والمرثى عضوين بوفد جمهورية مصر العربية الى مؤتمر الادباء بتونس في مارس سنة ١٩٧٣ والقى كل منهما قصيدة في مهرجان الشعر هناك .

القاهرة … محمد عبد الغني حسن



عدنان مردم بك

الشاعر عدنان مردم

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

***

لئن انطبق المثل السائر (من شاب اباه فما ظلم) على كثير من الناس وفي كل زمان ومكان ، لكونه حصيلة التجارب وعصيرة الآراء ، فانه اكثر انطباقا وابعد انسحابا على واقع عدنان مردم ..

هو نجل العلامة الدمشقي خليل مردم بك .. هذا الذي ينسل من ارومة موغلة في الاصالة والنبالة ، ومشهورة بالعلم والادب والفضل ..

لقد تأثر عدنان بابيه الخليل الجليل في مشربه ومسلكه ، منتهجا خطته في النهل من مورد الحياة النقي ، والاخذ باسباب الحضارة النافعة ، متسقطا تياره الفني في الشعر والفكر غير متنكر لهما وغير منحرف عنهما ، مهما اغوته بهارج الدنيا ومباهج الزمن ، مستدرجة اياه الى التمرد والابتذال ، واحتضان العالم المادي المعقد بكل اشواقه واذواقه ..

شاعر بالفطرة هو عدنان مردم ومن طراز مرموق . بلغ ذرى المجد الادبي بمثابرته واطلالاته الموصولة . حسبه دواوينه : نجوى ١٩٥٦ وصفحة ذكرى ١٩٦١ وعبير من دمشق ١٩٧٠ . ثم مسرحياته الشعرية : غادة افاميا ١٩٦٧ ، والعباسية ١٩٦٨ والملكة زنوبيا ١٩٦٩ والحلاج ١٩٧١ ومصرع غرناطة ١٩٧٣ ورابعة العدوية ١٩٧٢ ..

وهذه الاخيرة حاز بها الشاعر الجائزة الثالثة في اسبوع الكتاب الصوفي العالمي الذي اقامته الجمعية الاستشارية العالمية المنبثقة عن اليونسكو في بوينس ايرس عاصمة الارجنتين في شهر تشرين الثاني لعام ١٩٧٢ كذلك منح الشاعر بها لقب بروفسور تقديرا لمواهبه الفذة ومساهمته الفعلية في توطيد قواعد الثقافة العربية الاسلامية .. بمضمونها القومي والانساني الرفيع ..

لعدنان مردم خلفية ادبية عريضة اقامها كنز من الزاد والخبرة وبلورتها الاعوام واحوالها المتقلبة ... ينطلق منها في تناول موضوعاته ومسرحياته واضفاء الرداء الفني الموائم ومحتواها الذاتي والمجتمعي والانساني ، او طابعها التأملي والروحي والفلسفي عليها ..

والقارىء الذي يتعمق آثار عدنان مردم المطبوعة يجد ان له طريقته الخاصة المتميزة في طرح المعاني والافكار المألوفة ثم صياغتها بمهارة الصناع الحاذق في قوالبها حتى تبرز مبتكرة او كالمبتكرة .

معناه : ان له قدرة ظاهرة على توليد المعاني واستنزال الافكار باشتقاقها من تلك التي هي مألوفة بعملية الاستبطان الداخلية وبسبب قانون التداعي ثم بالتحليق على اجنحة الخيال ، وهو يضفي عليها من قواه العقلية والحسية ما يساعد على جعلها كذلك .. وفي ذلك الخلق الفني :

والكون مرآة طلعت بها ... وجلوتها بالصقل عن خلل
زينتها بثواقب عجب ... من كل منتظم ومكتمل
فاذا السماء صحيفة سطرت ... بروائع من كل منتخل
طهرت عن الاثام صفحتها ... من صارم عضب ومن اسل
ترقى بها للارواح سابحة ... بمسالك برئت عن الدخل
جاب البراق بها معارجها ... في غابر مع اكرم الرسل
والوحي منها سار غاربه ... وانهل بالحوذان والنفل
سويت حين قضيت عن قدر ... بين الورى بنوازع الاجل
وقهرت بالموت العباد فما ... حي نجا من جائح العلل
لم ينج جبار ولا وكل ... من ضربة خلصت من الوكل

من هنا اذا كان شعر عدنان مردم ومسرحياته يمثل الحياة بقطاعاتها ولوحاتها ويعطي تفسيرا وجدانيا لنواميس الوجود ومظاهره ، ويصور المجتمع المسير باتجاهات ورغبات متضاربة ، ويرسم الخطوط العارية لقافلة الحضارة العربية ، الاسلامية بتياراتها وتناقضاتها ويعبر عن احوال الناس : سلبا وايجابا ، فان هذا الشعر جزء لا يتجزأ من نفس عدنان في منازعها والهاماتها ، وشريحة لا تتحلل من حياته في اقبالها وادبارها ، وقطعة من فكره ووجدانه في جوبهما آفاق الخيال والاحلام والمتاهات ودنيا الموت واللامحدود :

اخذت بحيطة ادنيـ ... ـك من حدب الى صدري
فخلت الكون بين يدي ... يميس بحلة الفجر
ورحت وليس بي سكر ... اميل كشارب الخمر
بني وانت نعم الذخـ ... ـر في الدنيا على الدهر
أكان وانت مني الشطـ ... ـر في وجدي ما يزري
وهل من ريبة ان حن شطر القلب للشطر

ويقول ايضا من قصيدة اخرى :

رنوت بمقلة حيرى   الى الجوزاء من نصب
وعدت القهقرى بالذكريات اغص من وصب
فخلت الامس من حجب الرؤى يومي بمختضب
وكم ايقظتها لذكرى..   جوى وثرت من لهب
وكم احييت من حقب   طوتها لجة الحقب
اهيب بخافقي فتنو   ب عنه العين بالرد

لا اغلو ان شعر عدنان مردم ، الموصوف بقوة سبكه ونصاعة بيانه وجلال مضمونه يروق معظم الباحثين والنقدة ، محافظين كانوا او مجددين ، لانه هو ـ بالطبع لا التطبع ـ يجمع في انتاجه بين روح المحافظة ومسحة التجديد ، ايمانا منه بوجوب التمسك باكرم ما في تراث الماضي هذا الذي اليه عبقرية الفكر العربي المبدع ، ثم مجارة منه لمتطلبات المعاصرة والتطور الذي شمل الثقافة الانسانية مستوعبا كل الوانها وابعادها ..

شعره منوع في انماطه واغراضه لكن ابرزه لدى الباحث المتقصي بل ادناه الى فكري واحساسي هو شعر التأملات والروحانيات .

من هنا سكنت اليه ...

ما اراه ان هذا الجانب من شعر عدنان مردم لا يمسخه جفاف عقلي كالذي يصطبغ به عادة الشعر الفلسفي والتعليمي ، حسب شاعرنا الفنان انفعالا دائما عبر التجربة بصدق وحرارة وتعاطفا مع عالمه برغبة ولذة.

يعمد عدنان مردم في قصائده التأملية والروحية الى التلوين اللغوي ـ اذا جاز القول ـ باصطناع الضمائر في حالات متغايرة ، تجسيدا لمناخ نفسي حركي ورمزا الى اصالة الرؤيا الفنية عنده . مصداقا لهذا يقول :

عيناك شبه عباب   من البنفسج طام
يموج عن شهوات   مكبوتة ومقام
والليل اسدل فيه   ملاءة من ظلام
عين اطالع فيها   صبابتي وهيامي
وكنت اقرأ فيها   فواجع الايام
تفتحت عن امان   مشبوبة بضرام
وللرؤى اصداء   تحكي ورجع كلام
وتمتمات مشوق   علوية الانغام

على ان هذا الشعر المتراوح بين التأملات الفلسفية واللمحات الروحية يرتقي الى موقع الامتياز ...

انك لواجد فيه عالما وسيعا لا يتحدد بقضايا زمنية ومادية معقدة ومسائل روحية مثالية ولا يتقيد بقيم تجعل من المرء آلة صماء ميكانيكية لا فكاك من جبروتها وبمفهومات طوبائية تقعده عن متابعة النضال والسجال في سبيل اثبات شخصيته . واجد فيه عالما يرهص بالواقعية المادية والمثالية الروحية على مستوى واحد ، ركز عليه عدنان مردم في شعره بوعي بعد ان استبانت له حقائق الوجود ووقائع الحياة وحوادث الزمن ، على نحو يتلاءم ومزاجه النفسي وتكوينه الثقافي وموقفه الحضاري والاخلاقي :

اختاه ما ذنب الحياة   اذا اساء بنو البشر
ان الحياة لعاقل   شيء اعز من الدرر
هي نعمة لا يستهان   بها وليست تحتقر
في فيئها نبض الفؤاد   وسال بالنغم الوتر
نعم الحياة بكل شبر   في الدني منها اثر
الطير زغرد شاكرا   لله في وضح السحر
والبحر يجأر بالدعاء   مسبحا لا عن ضجر
والذر والافلاك تهزج   للحياة مع الشجر
اختاه كم من نعمة   في الارض حاربها النظر
لا تستخفي بالحياة   على الخصاصة والعور

عظمة الله وعبقريته .. روعته وحقيقته المطلقة اللامتناهية التي هي فوق التصورات والتقديرات وفوق الظنون والشبهات تتجلى في كل خلية انسانية . في كل خفقة حياتية . في كل ذرة كونية . في كل نغمة سماوية.. تتجلى في تراب الارض وضوء الشمس .. في نقيق الضفدع وهدير الموج .. في لغز الموت ومعجزة النشور :

ما كانت الاكوان غير شواهد   لحقيقة اياتها لا تخلق
الذر والحيوان شيء معجز   والعنكبوت حقيره والخرنق
والروح من قبس الحقيقة ومضة   هيهات يطويها الحمام الازرق
والجسم اردية التراب تخرقت   بيد المنون وكل ثوب يخرق
والشمس من نور الحقيقة شعلة   فيها عن الحق الدليل المشرق

عالم التراب ـ كما يرى عدنان مردم ـ هو عالم الحق والحقيقة .. انه أصل الوجود :

ان الحقيقة في التراب تبلجت   كأنها سطر بدا بكتاب
ردت على المرتاب نور يقينه   ومحت هواجس حيرة المرتاب
وتمثلت عظة الحياة جلية   ما بين اجداث عفت وتراب
تلك المقابر عالم من دونه   نطق اليقين بحكمة وصواب
وترى الحقيقة في التراب تمثلت   عريانة لم تلتفع بثياب

ويقول الشاعر في ذلك ايضا :

ومسائل تشبر الصوا   ب وحاد عن سنن الصواب
قال المصير في الترا   ب وكل امر للتراب

بعد هذا كله اي داع للشك والتشكيك .. ؟؟

تتفرق الاشياء في عين الفتى   وحقيقة الاشياء لا تتفرق

تلك ابيات تتقرر بها حقيقة كائنة بائنة .. ويتعزز بها من جانب ثان ما سلف ان افضى به فلاسفة اليونان القدامى من ان اصل الوجود هو التراب بينما ذكر اخرون ان هذا الاصل هو الماء او الهواء او النار ..

وفي عالم التراب تتساوى الاضداد وتتلاشى الاعتبارات وتسقط الامتيازات ، ما دام الموت يحصد الناس كلهم ، بلا تمايز ويجمعهم في قبور مرطوبة مطبقة الظلام الى يوم الدين :

عرت يد الموت الجسوم واسبغت   من دونها عظة وفصل خطاب
عظة السنين على القبور تكلمت   بمواكب الايام والاحقاب
نطقت بشاهد حالها لسائل   واتت ولم تنطق بحسن جواب
حفر تثير على السكون لواعجا   مشحونة بهواجس وعذاب

على ان العقل البشري بالرغم من فتوحاته وانجازاته الضخمة في مضمار العلم والفن ، يتوارى عجزا وحيرة ازاء الحقيقة المطلقة . فالعقل مهما تناهت به الاسباب ، ينكمش عند نقطة لا يملك معها القدرة على تجاوزها ...

ذلك قدره .. يعني ان الادراك العقلي يتهيب هتك اسرار الكون والخلق والطبيعة كما ينبغي ، لحتمية عجزه وقصوره عن الارتقاء الى الآفاق العلوية السرمدية .

من هنا كان الركون الى القلب والوحي ...

ما لا يبلغه ويستحيل ان يبلغه العقل يمكن ان يتحقق بالشعور .. بالخيال ...

او ليس نور الله يبصره الفتى   بشعوره والليل داج مطبق
تعمى العقول عن الصواب ودونها   شمس بالسنة الحقيقة تنطق
الكون لغز لا تحل رموزه   ماكر دهر او تقادم مشرق
خفيت مسالكه فكل ثنية   من دونه سر وليل مطرق

ويستطرد عدنان مردم قائلا :

لله ابناء الخيال فانهم   بلغوا السعادة بالشعور ووفقوا
سطعت بهم وتبلجت شمس الضحى   وجرت باضلعهم عيون تغدق
فاضوا على الدنيا ......   وشفاههم من غلة تتحرق
وجروا على سنن السماحة والندى   قلب يفيض وراحة تتصدق

وربما كان ادعاء الانسان بالمعرفة الكلية عن طريق الادراك العقلي يشكل قطرة من بحر :

اما الحياة فكل معرفة الفتى   عن امرها وهم ومين مغرق
ذهب الالى فيها مذاهب جمة   وتنكبوا سبل الهدى وتفرقوا

ولكن اين هذا العقل من معجزات معها شواهدها وقرائنها بل اين هو من بينات باهرات يراها ويحس بها من حواليه ، غير انه يتاذل دون السمو اليها والكشف عن اسرارها . لقد بات العقل – كما اراد عدنان مردم – ضريرا .. تغشاه جهالة مستدمة :

ان الخوارق لا تني من دوننا   بشواهد تحكي ولا تتشدق
دقت عن العقل الضرير فخالها   اكذوبة وهو الضرير الاحمق
والعقل بالشهوات هيض جناحه   فهوى يسف الى الحضيض وينعق
وعرت مسالكه واطبق دونه   ليل باروقة المطامع يفسق

ما من ريب ان الجانح الى النزعة التأملية والروحية يؤثر السكون الى الطبيعة ناهيك بالدعوة بالرجوع اليها .. كذلك كان الاخرون من قبل .

تتمثل الوحدانية والروحانية باكرم مظاهرهما ، وتتطهر النفوس من شهواتها وادرانها ، ويصفو البال من اكداره وقلاقله ، حين الانفراد بالطبيعة والاستغراق في جلال المطلق والاخلاد الى مناغاة العزلة والغربة ، حيث يشاهد الحق عاريا صراحا الى جانب الباطل الزهوق ، وحيث تشاهد الحقيقة مجردة وضاحة الى جانب الزيف الزائل ، وحيث يشاهد الجمال سرمديا الى جانب البشاعة الفظيعة .. فالطبيعة هي الام الرؤوم . ما اروع الارتماء بين احضانها الحنون :

قمت والصبح باسم يتهادى   بازدهاء دون الربى واختيال
والنسيم العليل يهتف للغصـ   ـن بغنج وينثني من دلال
راعني ما قرأت اثر الرمال   من عظات هن كل رسم بال
جئت استنطق العصور لاجلو   صفحات تخفى على الجهال
فرأيت التاريخ فيكن حيا   يتهادى باليمن والاقبال
واراني لمست فيكن دنيا   من فنون وعالما من خيال
ولمست العصور لمس يقين ...   بيميني والدهر بات حيالي

ويقول في قصيدة اخرى :

الليل عندك مظهر لحقيقة   خلصت حقيقتها من النقصان
ابصرت في الظلماء كل خفية   دقت لمقدور وريب زمان
فتساوت الاضداد عندك والتقى   دمع الشقي ببسمة النشوان
وسترت اغوار النفوس فلم تقع   الا على الاحقاد والاضغان
من كل وغد راح في حلل الغنى   يختال من صلف ومن عدوان
او خانع والقيد طوق جيده   وتراه يبسم بسمة اطمئنان
والظلم في الانسان كان سجية   فطرت عليه سريرة الانسان

ان البيت الاخير يذكرني ببيت ابي الطيب المتنبي :

الظلم من شيم النفوس فان تجد   ذا عفة فلعلة لا يظلم

ثم يقول الشاعر في غير ذل :

سائل الليل فكم من خبر   في فم الليل لمن ينشد خبرا
كل مسكين له معتصم   بالدجى من مقل تنظر شذرا
حبب الليل سواد خلفه   يحجب القبح ويخفي ما تعرى
المساكين الذين اشتروا   دهرهم عارين في الاسواق ظهرا
لبسوا الليل ليخفوا عريهم   وتواروا خلفه يخفون صدرا

ولتعلق الشاعر بالخريف والليل اكثر من دلالة . بهما تتراءى الاسرار وتتجسد ، وبهما تتساوى الاضداد وتتكشف ، والضد يظهر حسنه الضد .. كما اتضح .

وايمان عدنان مردم حتى القرارة كالعاشق المأخوذ بالعظمة الالهية ومقدراتها وما يشتق منهما من الغاز ومبدعات ، قضاء وقدر ، خير وشر ، ليحول دون تسرب شكوى المتشائمين القائلين : ان الوجود خطيئة ، الى ذات نفسه . انما يرد على هؤلاء موضوعيا بان الوجود نعمة وان اكتنفته عوارض وقتية ، وان الحياة حلوة وان تعاورتها تقلبات وتناقضات .. ذلك بالضرورة طابعهما وواقعهما .. حيث تستنبط الحقائق من الانتقالات بين الحوار والسجال ، والاخذ والرد ، والشك واليقين :

قلت الحياة على تقلبها   مرموقة ترجى وتحترم
الامها كانت محببة   وعذابها ما اوجعت نعم
تعين قبح الليل ناسبة   افاقه بالشهب تنتظم
والعين من رمد اذا عشيت   تستقبح الدنيا وتتهم

والبيت الاخير يدعونا الى ايراد البيت العربي القديم :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة   كما ان عين السخط تبدي المساويا

انما كل شيء مآله الزوال ولو اقامه الطغاة على جماجم الآخرين وليس في الدنيا ما يسمى العدل والحق. انها ابيات لفي منتهى الروعة والاصالة والدلالة :

ما نرجي من صالح في حياة   عدلها المين ما به من رجاء
نتغنى بالعدل وهو محال   من نسيج الخيال والاهواء
قد اقمنا شرائعا سطرتها   بدماء قواضب الاقوياء
وابحنا حمى الضعيف لجان   وغفرنا مكائد السفهاء
وعبثنا مصحفين لسوء   كان فينا حقائق الاشياء

وعدنان مردم بعد هذا كله يضع الانسان على طاولة التشريح والتحليل مصطنعا في عمليته الفنية مشارطه الحادة ليظهر نفسه باطماعها ومسببات استماتتها من اجل الوصول الى ما ينبغي .. كذلك لا يني الشاعر عن وصم هذه النفس – الامارة بالسوء – باتعس من اخواتها، لانقيادها وتحاشيها الحب والعفاف اللذين يجب ان

لعله ندم

وأذكر ذات نهـار مطير — أتاني غريب ، ترى ما يريد
أتاني يجر التلعثم عبر — خطاه ، ولكن نـداء عنيد
يلوح مطلا مـن ناظريه — برم التلعثم يبدو جديد

وأذكر انـي لويت شفاهي — واعرضت عنه وكان وحيد
واسطورة الدفء في الشرق شوق — يعيش بجنبيه حلمـا سعيد
وكان غريبا يـزور بلادي — وموطنه كـان يبدو بعيد
واذكر أنني كنت غريبـا — ولكن شعوري ركام جليد
فاني غريب ولـو في بلادي — وأشرعتي فـي الزمان المديد
تطوف ومهما تـدانت شطوط — سأبقى وحيدا وابقى شريد

لماذا أخط حروفي ؟ لعلي — أيسـر الندامة عما أراد
سيبقى نـداء النهار المطير — منـارا لقلبي ودفءا وزاد

دمشق — سلافة العامري

يسودا العالم ويقبرا الاحقاد والشحناء ، كما قال العربي محمود ابو الوفا :

اريد وما عسى تجدى اريد — على من ليس يملك ما يريد
اريد لهذه الدنيا سلاما — أريد الحب في الدنيا يسود

ويقول شاعرنا عدنان مردم :

عجبي له كم ضم من متناقض — عجب بما كانت تجن الاكبد
للكره اغوار لديه ومثلها — للحب اغوار لديه وانجد
فاذا احب رأيته طال السها — ولو ان درب المجد داج اسود
ان الذي من دونه حار الحجا — ويد المطامع احجمت تتردد

لعل مبعث ذلك قسوة الواقع الانساني وتجاربه المريرة .. متى ما عرفنا ان هناك شيئا لصيقا بكيان الانسان ، مستقرا في اغواره الدفينة منذ يولد ليستدرجه ويحفزه تارة ، ويثيره ويحركه بسلطانه تارة اخرى ، ادركنا ان هذا الشيء لا يعدو ان يكون الغريزة بعينها :.. فقد عبر عنها عدنان مردم بريشة الفنان الواقعي في قصيدتين ، ان اختلفتا شكلا فانهما اتفقتا مضمونا :

ومضى يردد : من هو ال — معصوم عن خطل الجهول
هيهات يعصم عن هوى — او شهوة غير الرسول
والطهر في الروح البتو — ل وليس في الجسم البتول
ما كان شرع الله يد — عو للتنابذ والذحول
والله جل جلاله — يعفو ويغفر عن جليل

على انه في القصيدة الثانية يقول :

امن اعطى العفاة لكسب حمد — كمن اعطى فؤادا للغرام
وبذل القلب غاية كل جود — تقاصر دونه بذل الحطام
أان اعطيت للذات قلبا — اتيت جريرة دون الانام
وجئت ببدعة دون البرايا — لها يندى الجبين من السقام
وعندي للفراشة كل يوم .. — دليل قام عن نيل المرامي

ما اجمل هذا البيت الاخير وما احكمه وما ارفعه .؟

اذا كان هذا ما قدر لي من ايراد الشعر التأملي والروحي لدى عدنان مردم ، فان مسرحياته تتضمن كثيرا من معاني ومقاصد هذا الضرب من ضروب الشعر الرائق الشائق ...

اختاه ما ابهى الحياة — مع المحبة والوداد
ان السعادة في القناعة — لا باعلاق وزاد
وارى الشقاوة في التشاحن — والتكالب والعناد
اختاه ما صيفت قلوب — الناس يوما من جماد
ان القلوب مشاعر — طهرت وجلت عن فساد

الاعظمية ـ بغداد — وحيد الدين بهاء الدين

بطولات مكتب عنبر بدمشق

بقلم عيسى فتوح

* * *

ان المتتبع دراسة الحركات القومية في العالم ، لا بد ان يعترف بأن المدارس والجامعات بنوع خاص ، كانت ولم تزل مصنعا لهذه الحركات ، وانها التربة الصالحة التي تنمو فيها الافكار السياسية ، والوسط الاكثر ملاءمة لانتشار الدعوات القومية بفضل الثقافة والوعي . ومن المؤسف ان المستعمر التركي كان يحارب التعليم ، ويسعى حثيثا الى نشر الجهالة في صفوف المواطنين ، لتبقى العقول مغلقة ، والاذهان متبلدة ، واذا ما ندت صيحة من عربي حر ، حاول طمسها وخنقها بشتى الوسائل ... ولهذا لم يكن في دمشق كلها ، في مطلع القرن التاسع عشر ، الا مدرسة ثانوية وحيدة ، هي « مكتب عنبر » . ورغم انها كانت تدرس كل شيء باللغة التركية ، حتى علوم الدين واللغة العربية ، ورغم ان غالبية اساتذتها من الاتراك المغضوب عليهم ، فان الحركات الوطنية انطلقت منها ، لمكافحة الاستعمار التركي ، ومن بعده الفرنسي .

لقد أسهم « مكتب عنبر » في الحركات الوطنية الكبرى في هذا الوطن ، منذ ان أسسه الشيخ طاهر الجزائري في مطلع القرن التاسع عشر ، لان الاكثرية الساحقة من الطلاب كانوا عربا اقحاحا ، والاقلية من الترك ، ولان بعض المواد التي تدرس فيه كانت تدعو بطبيعتها لاثارة الروح القومية كالتاريخ الاسلامي ، ولا سيما تاريخ الامويين والعباسيين ، واللغة العربية والدين ... حتى لقد تحول هذا المكتب الى ما يشبه ثكنة عسكرية أيام الاحتلال الفرنسي ، ينام الطالب الداخلي فيه وسلاحه تحت رأسه ، ينتظر سماع اية صيحة لينطلق كالمارد المجنون يدافع بلا هوادة .

لقد تجسدت بطولات مكتب عنبر ابان الاحتلال العثماني في حادثتين اثنتين اولاهما تمثيل رواية (طارق بن زياد) وثانيتهما الثورة ضد مديره ، استاذ الفيزياء التركي مصطفى ثابت الذي سب العرب ، ونال منهم على مسمع من الطلاب ، فهاجوا وماجوا ، ولقنوا المذكور درسا لم يستطع ان ينساه طيلة حياته .

لم يبق أحد على قيد الحياة ممن مثلوا هذه الرواية الا الاستاذ الدكتور سامي الميداني الذي اعطي دور ملك الاسبان ، ولما كان الاستاذ ظافر القاسمي مؤلف كتاب « مكتب عنبر (1) » قد طرح الكثير من التساؤلات دون ان يستطيع الاجابة عليها ، لانه لم يعاصر هذه الحادثة ، وتمنى لو ينبري احد ممن عاصروها او شاركوا في تمثيلها ، فقد قصدت الاستاذ الميداني لهذا الغرض ، وفي جلسة هادئة استعرض خلالها تاريخ مكتب عنبر البطولي روى لي ما بقي في كأس ذاكرته من ثمالات . قال :

لقد أسند الي دور ملك الاسبان (رودريك) والى الدكتور يحي الشماع دور الترجمان بين الملك وبين طارق بن زياد ، كما اشترك في التمثيل ايضا محمد محيسن (من الاردن) وسامي البكري ، والدكتور صبحي أبو غنيمة ..

كانت حديقة الصوفانية – حيث مثلت المسرحية – حديقة جميلة نقضي فيها أحلى نزهاتنا ، واجمل حفلاتنا الربيعية ، نقصدها كلما عزمنا على اقامة (سيران) او (بيكنيك) بلغة هذا العصر .

اتفقنا على انه لا بد من اقامة تمثيلية ذات طابع قومي عربي ، لان التمثيل يعودنا على الالقاء الجيد ، ويمرن السنتنا على التكلم بالفصحى في زمن اوشكت العجمة ان تفسد سلائقنا ، ناهيك عما للتمثيل والمسرح من دور قومي وتوجيهي .

ولما سألت الدكتور الميداني عن مؤلف المسرحية ومخرجها وملقن ادوارها ، وهي الاسئلة التي لم يستطع الاستاذ القاسمي ان يجد لها مخرجا قال : لعل المسرحية من تأليف نجيب الريحاني ، ولا أبالغ اذا قلت انني كنت فيها اكثر من ممثل ومخرج ، لفقدان العناصر الفنية ، في زمن كان التمثيل ما يزال طفلا يحبو .

مثلت المسرحية في حديقة الصوفانية (حي القصاع) في الهواء الطلق ، بلا ديكورات او رتوش ، ودعونا اليها كبار شخصيات المدينة الذين وقفوا الى جانبنا وشجعونا . وفعلا تركت المسرحية صدى واسعا في النفوس ، وظل الناس يتحدثون عنها أشهرا ، ويرددون مقاطع منها ، ويقضون السهرات في التعليق على مناظرها ، ومواقف البطولة المشرفة التي وقفها أشخاصها ، الامر الذي جعل الاتراك يحسبون لطلاب مكتب عنبر حسابهم ، ويراقبون تصرفاتهم وتحركاتهم بعين يقظة لا تنام .

اما الحادثة الثانية فقد جرت سنة ١٩١٢ نتيجة لتمثيل رواية طارق بن زياد ، حيث تحفزت العزائم ، وتوثبت النفوس ، ونشطت الهمم ، وملخص القصة ان المدير استاذ الرياضيات والفيزياء التركي في مكتب عنبر واسمه (مصطفى ثابت) قد شتم العرب في معرض حديثه عنهم قائلا (بيس آراب) أي عربي قذر ، فهاج الطلاب وماجوا وقرروا الاضراب – لاول مرة في تاريخ مكتب

---

١ – رجعت الى هذا المصدر في اكثر من موضوع ، فاقتضى التنويه.

عنبر ـ وقاد العملية كل من محمد محيسن واحسان الشريف ، وعبد الغني القادري ، ويحي الشماع ، وسامي الميداني ، وصبي ابو غنيمة . ويوم الاضراب المحدد امتنع الطلاب عن دخول قاعات الدروس ، واغلقوا باب المدرسة الرئيسي الذي تولى حراسته « زكي الرجولة » بمسدسه ليمنع اي واحد من الخروج او الدخول ، واسندت الى سامي البكري مهمة اقفال الابواب الاخرى ، والى سامي الميداني مهمة قطع اسلاك الهاتف حتى ينقطع الاتصال بالخارج ، واعلن احسان الشريف بأنه سيقوم بدور الفدائي من اجل تحقيق الهدف .

ما ان دخل المدير التركي مصطفى ثابت حتى قفل سامي البكري الابواب ، وصعد سامي الميداني الى السطح وقطع اسلاك الهاتف ، ووقف احسان الشريف مستعدا لاثارة الحركة ، ويحي الشماع لاطلاق الشرارة الاولى ... وما هي الا بضع دقائق حتى هجم الطلاب العرب على المدير وجروه الى غرفة خاصة ، واقفلوا عليه الباب ، بعد ان طيروا طربوشه عن رأسه في مهب الريح، وبصقوا في وجهه، كما حجروا على بقية الاساتذة في غرفة نائية خاصة ، ثم راحت الصيحات تتعالى بتسقيط المدير واعلان حقوق العرب .

لما علم والي دمشق آنذاك (عارف المارديني بالحادثة ـ وكان عربيا يعطف على ابناء جلدته ـ خف الى مكتب عنبر يرافقه مدير المعارف الشيخ الدره ، ومدير الشرطة لتهدئة الحال ، وصعد نشزا من الارض بين الطلاب ثم راح يخطب بعربية فصحى قائلا :

« يا ابنائي

« انني عربي بدوي ، واحب الشهامة » .

وما ان سمع الطلاب الساخطون براعة الاستهلال ، حتى اهتاجوا ، وحيوا الوالي ، وصفقوا له طويلا ، ثم طلب منهم الافراج عن مصطفى ثابت ، فخرج ذليلا بين صفين من الطلاب وسط تظاهرة من النقمة العارمة ، وكان ذلك كل ما ابتغاه الطلاب من اضرابهم ، وبعدها عادوا الى صفوفهم راضين مغتبطين .

قبل ان يغادر الوالي مكتب عنبر دعا الطلاب الذين قادوا الحركة واستمع الى شهاداتهم واقوالهم ، فوجدهم على حق ، عندئذ عزل المدير من منصبه ، وسيره الى الاستانة يشكو الى ولاة الامور ما لاقاه من الطلاب العرب في دمشق ، فاتهم الوالي بانه كان المحرك ، ولذلك طلبت منه وزارة الداخلية التخلي عن منصبه ، ولم تلبث ان عزلته بأمر سلطاني .

كانت النتيجة ان طرد كل من سامي الميداني وسامي البكري ، ويحي الشماع واحسان الشريف من مكتب عنبر لمدة معينة بعد ان اعطتهم الادارة صفرا في الاخلاق ، وجميعهم في الصف المنتهي . اما محمد محيسن وشفيق المالكي فقد طردا نهائيا وسافرا الى اميركا لمتابعة تحصيلهما .

ادت حادثة مكتب عنبر الى اجراء بعض الاصلاحات في التعليم ، ذلك ان تركيا لم تجد بدا من الاستجابة لمطالب الطلاب المشروعة ، وعلى راسها تعريب التعليم ، فأسست « المدرسة السلطانية » في بيروت ، واختارت مديرها واساتذتها من العرب ، من آل حيدر ، وآل الصلح ، وادخلت الى مكتب عنبر مادة اللغة العربية ، واكثرت من عدد الاساتذة العرب ، لا سيما وان اغلب الاساتذة الاتراك كانوا جهلة ، ليسوا في الاصل معلمين ، بل من المبعدين عن تركيا ، المغضوب عليهم ، وكان ابعادهم الى سورية بمثابة عقاب او تأديب لهم . وقد حدثني الدكتور الميداني عن واحد منهم واسمه (اسماعيل حقي) كيف كان يركب حماره يوميا الى مكتب عنبر ، ويقضي درسه في سرد الاضاحيك والاباطيل ، ولذلك اضطر الطلاب الى حضور حلقات تعليم العربية في المدارس الدينية كمدرسة العظم ، وكان من اساتذتها الشيخ جمال الدين القاسمي ، والشيخ عطا الكسم والاستاذ بدران ـ وهو من دوما ـ واحيانا تعقد هذه الحلقات في منازل الاساتذة انفسهم قبل دوام مكتب عنبر او بعده . اما اللغة الفرنسية فكانت تدرس بالتركية واستاذها جزائري جاهل ، يدرسها للانتفاع ليس اكثر .

ان الدور الذي لعبه مكتبعنبر في بث الروح القومية، ونشر اليقظة العربية ، ومحاربة الاستعمار التركي ، لا يقل اهمية عن الدور الذي قام به اعضاء « جمعية النهضة العربية » التي تأسست في القسطنطينة اولا عام ١٩٠٦ برئاسة محب الدين الخطيب ، وكان من ابرز اعضائها : صلاح الدين القاسمي ، ومحمد واحمد ومحمود كرد علي وعثمان وجميل واديب مردم ، ولطفي الحفار ، وجمال القوتلي ، وعارف الشهابي ، وفائز الشهابي وجمال الحفار ، وزكي الخطيب ، ورضا مردم ، وحكمة المرادي ، وعبد الفتاح الجندي ، ومحمد الحفار ، وصبحي المليحي، وكمال الحلباوي ، ونجيب الشهابي ، وصلاح الدين العظم ، وسامي العظم ، ورشدي الحكيم ... لما كان لهذه الجمعية من صلة وثيقة بأسر طلاب مكتب عنبر ، فكان طبيعيا ان تنتقل اهداف هذه الجمعية الى الطلاب وان تسري الروح القومية بين الفئة المثقفة الواعية .

لم يقتصر كفاح مكتب عنبر على محاربة الاستعمار التركي ، بل واصل هذا الكفاح حتى شمل المستعمر الفرنسي الذي حل محله ، وسنبحث ذلك في المستقبل القريب . ان شاء الله .

دمشق

عيسى فتوح

حبيبة وضاح

قطع وضاح اليمن شعاب الصحراء مشوقا الى حبيبته روضة ثم فوجىء بها مجذومة شوهاء فهرول صارخا وفي خاطره ما تخيلت من هذه الشجون

توقعت الا ان يموت جمالها ... وتبقى على حال يشق احتمالها
توقعت الا ان تظل بدائها ... أسيرة شجو لا يفك اعتقالها
تألبت الدنيا عليها فليتها ... أريحت من الدنيا فيهدأ بالها
أحست فناء الموت قبل نزوله ... ولاح لها رأي العيان مآلها
فزالت عن الدنيا اغتصابا بدائها ... وما حان في أم الكتاب زوالها
فلله حزني ما أشد احتدامه ... وقد شاه مرآها وساء هزالها
عشية لا دمعي يعود انسكابه ... بجدوى، ولا في الطوق مني انتشالها
لدى موقف لا العين تمنع اختها ... قذاها ولا تغني اليمين شمالها
تكبدت لفح القيظ أرقل نحوها ... ببيداء لا يشفي صدى النفس آلها
ولي مهجة ضمت الى القيظ صبوة ... يشب كيان المستهام اشتعالها
أراها بلحظ الوهم ذات وضاءة ... يزيد ضياء المقلتين صقالها
اذا دجت الظلماء حولي تمثلت ... لعيني فاودى بالظلام هلالها!
وقلت وصال بعد نأي يريحني ... فواحر قلبي كيف تم وصالها
سألت فساد الصمت حولي وماطلت ... شفاه يريب المستحث يطالها
فألححت ملتاثا فقالوا مريضة ... تمكن منها في الصميم عضالها
فقلت سلوها ان أجيء خباءها ... وافجع ما يدمي حشاها سؤالها
ولم استبن حجم المصيبة بدأة ... وتلك التي تفري الشغاف نصالها
هممت وقد قاربت ابغي لقاءها ... غداة بدا خلف الستور خيالها
عجلت فلم اصبر وكنت على المدى ... أخا فرصة يحلو لدي اهتبالها
ففوجئت بالجلى رهيب نذيرها ... عنيف تجنيها، وبيء نكالها
رنت فارتمت شوهاء تستر وجهها ... ففتت قلبي ذلها وانخذالها
ودارت بي الصحراء هولا كأنما ... تغوص باقدامي سحيقا رمالها
فررت فلم ألبث وسرت لطيتي ... أضمد نفسا قد عراها خبالها
كأن براكين الدمار تدافعت ... من الارض فانقضت على جبالها
فيا خيبة الدنيا مضت بشبابها ... لمغربه الذاوي ومنه جمالها
أتلك التي كانت تروع بطلعة ... لها سطوة يوهي الشجاع مصالها
أتلك التي كانت تقول بعينها ... فيفحم اذكى الناطقين مقالها
أتلك التي كانت تصول بقامة ... يزلزل اعتى الناظرين اعتدالها
أتلك التي كانت تظل لداتها ... نواظر منها كيف تم كمالها
وكيف تحلى بالدلال ذكاؤها ... وكيف تسامى بالذكاء دلالها
وكم بسمة قد ارسلتها رقيقة ... فحف من الاعباء عنا ثقالها
وتمضي الى البيداء حينا لشأنها ... فتنفح بالزهر الشذي تلالها
ويغبطها مما يود عرارها ... ويحسدها مما يغار غزالها
اتفجعها الدنيا فتصبح مثلة ... وقد عز ما بين الحياة مثالها
سلام عليها بل علي فانما ... بنفسي - مهما صح جسمي - اعتلالها
كفى حسرة اني اصوغ رثاءها ... فان لم تكن ماتت فاني اخالها

كلية اللغة العربية - الرياض

محمد رجب البيومي

قصة

المتصابيـة

بقلم محمد حسين عبد المجيد

في خطوات اقرب الــى الرشاقــة المفتعلة منها الــى الطبيعة صعدت الاتوبيس ... لم تجد مكانا خاليا ، فوقفت ، وتشبثت بمسنـد أحد المقاعد ليمكنها ان تحد مـن اهتزاز العربة المسرعة لها ...

كادت السيارة ان تكون خالية من الوقوف ، اللهم الا من نفر قليل.. على حين لم يصعد غير تلـك السيدة المعنية حينمـــا توقفت السيـــارة لتلتقطها مـــن المحطة التي كانت واقفة بها ...

وربما صعودها بمفردها كان أبعث على لفت النظر اليها اكثر مما لـــو كانت قد صعدت مع عدد آخر ... شأنها شأن عنزة عجوز عندما تسعد باندساسها وسط القطيـــع ــ ان وجد ــ لتستظل بظله ... ولـــو كانت السيارة مزدحمـة في ذلـك الوقت ــ أيضا ــ لكانت قـد راغت وسط الزحام ، واختفت عن تلـك الابتسامة ، بـل الضحكة الساخرة الصامتة التـي افحمتها ، وجعلتها تتصبب عرقا ، عندما صعدها أحد الركاب بنظراته الثاقبـة ، وجعـل يبتسم ابتسامة طافحـة بالسخرية المريرة ، وهو قابـــع قبالتها ... لماذا ..؟ واندفع ذلك السؤال يصفع المرأة الواقفة ، ويهز كيانها ، لتجد له جوابـــا .. وخاطبت نفسهـــا قائلة :

ــ ولماذا خصني .. ــ أنا ــ بتلك النظرات المسمومة ..؟ هـل هـــو يعرفني ..؟ واذا كان كذلك فلـم لا يحدثني مباشرة ..؟ ربمـــا ... ربما ماذا ..؟ يا لـــي من غبية .. انه يغازلني ...

واصاخت السمع الى مـــا يدور بدخيلتها ...

ــ يا لي من حمقاء ... ان لفي نظراته احتقارا ... وفي ابتسامتـه ازدراء ... ان هذه النظرات لمغايرة تماما لنظرات الغـزل .. أم أنـــي اصبحت غير قادرة على التمييز بين هذه وتلك ... ؟

وادركت ان هناك مـــن تجلس بجانـب الرجــل ذي النظــرات الساخرة ... امرأة تفيض حيويـة وشبابا ، كان اولى بـه ان ينشغل بها عن تلك الاعجوبة التي استهدفها بسخريته المقيتة ... ومع أنهـــا سيدة ليست من الطبقة الدنيا ، ولا تمت اليها بصلة ، الا انها بفيض من التبذل جعلت نفسهـــا أحط ممـــن تنظر اليهم من عل وكبرياء وشموخ ... واحست من ابتسامة الرجل ، ونظراته الملتهبة كما لو انه يهتف بها قائـــلا :

ــ مالك وهذا ..؟ لقـــد ولـــى زمانك ايتهـــا الحيزبون .. الـــم تلحظي ذلك في مرآتك ــ ذات مرة ــ وانت تطلين وجهك بمختلف المساحيق التي تكثرين منهـــا ، لتخفي مـــن ورائها تجاعيـد الزمن ، واخاديـد الشيخوخة التـــي حفرتها سنـــون عمرك الطويل ..؟ لا ريب انك تقفين الساعات الطوال امــــام المـــرآة ، ولا مراء في أنـــك ماهـــرة في وضع الطلاء على وجهك ، ويخيل الي انك تنفقين جل وقتك في المثول امـــام المرآة ــ ايضا ــ لا لتكشفي حقيقـــة نفسك ، بـــل لتحكمي تزييفها ... ولكنك ــ مع كل ذلك ــ لم تفلحي.. وشعرك المتوهج هـــذا أخشى ان يكون ...

فامتدت أصابـــع مرتجفة ــ ذات أظافر طويلة للغاية ، مطليـة بطـلاء قرمزي ــ لتطمئن على الكومة الهائلة من خيوط النحاس الاصفر القابعة على رأسها ، ثم رشقته بنظرة عداء سافرة ، وكأنها تتحداه بقولها :

ــ لا ... انه شعر طبيعي ... شعري أنا ... ولا يذهبن بك الظن الى انه مستعار ...

ورغم بعده عنها الا أنهـــا احست بما تهتف به عيناه ، وهما تنتقـلان منها الى من تجلس بجانبه، وشعرها الفاحم المصقول يطل في تألق مـــن تحت منديل معقود ... كان الرجل ينقل بصره من هذه الى تلك كما لـــو كان يعقد مقارنة بين الشابة الرزينة الهادئة التي لا زيف في جمالها ، ولا سفور ، ولا تبذل ، وبين المرأة التي على النقيض منهـــا ... تبايـــن واضح ، وتبذل فاضح ، وفارق في السن يكاد يبلغ الضِعف ، حتى كاد الرجل يصرخ في وجه المبتذلة قائلا:

ــ هل هـــذا معقول ..؟ انهـــا لمغالطة منك أيتها المرأة ...

وكانت تود من قرارة نفسها لـــو كان قد دعاها ــ علـــى الاقـــل ــ بسيدتي ..

ومع انها بادلته احتقارا باحتقار الا انها لم تستطـع ــ بتفوقه عليها ــ ان تصمد امامه ، فقد احست بأنها ابتليت به ، وانه كشفها وعراهـــا ، ولاحساسها بالزيف ــ وربما هـــذه اول مرة تصدق في احساسها تجاه نفسها ــ وقفت في ضعف، مستهدفة للهزء والسخرية ... ولو لم يكـن هناك القليل المتبقي مـــن كبريائها المنهارة لخرت على الارض .. غيـر انها حاولت شد الازر من نفسها بأن مطت شفتيهـــا المخضبتين بطـلاء صاخب ، متكاثف ، رسم بدقـــة وبراعة ليوحـــي بغلظ الشفتـــين الدقيقتين الذابلتـــين في الاصل ، ولتجعل منهما شفتي انثـى مشتهاة ... ولكن على الرغم منها وجـدت نفسها ترشق الرجـــل بنظـــرات شزراء ، وهي تحاول استبطان مـــا يدور في نفسه ، بينما قبع هو فـــي مقعده ، وقد كشف عن أسنان بيض استهزاء بها كلما وقع بصرها عليه..

كانت تحس ــ كذلك ــ بشعـاع

عينيه يخترق ثيابها حيث يبرز صدرها النافر بصورة لا تتفق مطلقا وسنها ، بل وبقية جسدها ... ذلكما الصدر الذي — ولا ريب — في حاجة الى استرخاء — بعد عناء طويل — دون ما قلق من أحد ... الا انها تصر على شده ، لترفعه الى أعلى ... وكثيرا ما ينزلق من مشده ، ويرقد في استرخاء تحت جزع الشجرة العتيقة بعدما هدته الشيخوخة المخيفة ..

ولعنت سائقها الخاص الذي يفسد السيارة عندما يحلو له ... وهذا اعتقادها ... فقد نسيت انها غاية في التقتير ... وضمرت له من السوء بقدر ما تعانيه في وقفتها ، بل موقفها ذلك المهين ، ثم رددت آيات الشكر بينها وبين نفسها لعدم اصطحابها احدى بناتها ، حيث تفضحها المقارنة ، وتباين الصورة ... وان حدث ذلك منعت من تصحبها من بناتها وضع الزينة ، وحرمت عليها ما تحله لنفسها ...

وآخر الامر لم تجد بدا من ان تدير ظهرها للرجل ، ودفنت وجهها في جدار السيارة .. هربت بوجهها الصارخ ، بل اخفته بذراعيها النحيلتين اللتين وضحت في مرفقيما تجاعيد الشيخوخة بصورة مزعجة .. ولكنها احست بالنظرات الثاقبة تخترق ظهرها ، وتلسعها ، فقد احست كما لو انها تطل في بئر عميقة عمقا شديدا ، حيث تلوح لها من وراء الماء الاسود الراكد في القاع تلك الضحكة الرهيبة ، والنظرات البشعة التي جعلت القشعريرة تسري في جسدها .. فاجأتها صورة الرجل بضحكته المزدراة التي جعلتها تندفع لتواجهه في عصبية وتوتر ادى الى اختلال توازنها ، والتواء حذائها ذي الكعب المدبب الرفيع ، الذي آلم رجلها فانحنت وقد امتدت اصابعها الرفيعة ، لتصلح من وضع الحذاء .. بيد انها ارتدت منتصبة ... فقد توقفت السيارة ، وصاح المحصل قائلا :

— حاسب ... كعب عالي ...

وهبطت سيدة ...

بينما ارتعدت المتصابية لتلك الجميلة التي هتف بها المحصل ، والتي أتت في وقت احست فيه بأنها هي المعنية بها ... ولولا تلك الحسناء التي انقذتها بهبوطها من السيارة لاوشكت على الانفجار في المحصل ... واكتفت بأن رشقت — ذلك الرجل الذي خالته يقهقه عاليا — بنظرة اودعتها كل غيظها وضيقها ... ثم زحفت صوب المقعد الذي تخلت عنه المرأة التي هبطت من السيارة لتوها ... غير



محمد حسين عبد المجيد

●

انها ، لارتباكها لم تدرك المقعد قبل ان يستحوذ عليه أحد الوقوف ... وهذا ما زادها ارتباكا ، وجعلها تعبث بسلسلة صفراء ضخمة — في عنقها — من الطول بمكان انها لو انفردت لكانت كافية لربط بقرة في مرعى ... وما لبثت ان اخذت السلسلة بين فكيها في عبث صبياني، كان بغيضا حينما صدر منها .. فجعل ذلك صاحبنا يزيد من تسلطه على المرأة التي حاولت الهروب الى مقدمة السيارة .. ولكنها لم تستطع ، لسرعة السيارة فاكتفت بأن خاطبت نفسها قائلة :

— آه .. لو استطعت الجلوس لاخرجت المرآة من حقيبتي ، واستطلعت ما يضحك هذا الرهيب .. ان ما يضايقني هو انه لم ينظر هذه النظرات لغيري ...

ووجدت في عدم حصولها على مقعد ما يحمل على الاعتقاد بأنها قادرة على الوقوف كأي انثى في ميعة الصبا .. ورفعت وجهها ، ثم انتصبت في كبرياء وشمم ... وراحت ترفع حاجبيها المزججين ، وتقوسهما بصورة منفرة ...

فاهتز بدن الرجل عندما كتم ضحكته التي كانت ولا شك هائلة ، ذلك لدن ما شاهد المراة وهي تقوس حاجبيها ، ثم تمتم قائلا :

— يا لها من قدرة عجيبة .. ان حاجبيها لتتقوسان وتنفردان كدودة المش ...

وودت تلك السيدة لو تصرخ فيه قائلة :

— قل لي .. ما الذي لا يعجبك في ..؟ هل في ما يضحك ..؟

واتتها الاجابة مرتسمة على ملامحه ، وقسمات وجهه ، وفي نظراته القاسية ... ولئن كان قولا لينا ، الا انه كان عليها أقسى من صلابة الحديد ، وارهف من حد الموسى ...

— كوني عاقلة يا سيدتي ... انت ام ... ولا ريب ان من هن في مثل سنك لهن احفاد .. وانك لتندهشي لو قلت لك انه برغم براعتك في وضع المساحيق الا انك لم تفلحي في اخفاء حتى ولو عاما واحدا من اعوامك الخمسين ... لا ترتعدي هكذا ... وثوبك المرتفع الى ما فوق ركبتيك هذا ما كان ليصلح ان تلبسه سيدة وقورة مثلك، انك لا ريب مرتاحة لانك لم تجدي مكانا للجلوس فيه ، لئلا ينكشف حالك ...

وما ان توقفت السيارة حتى اندفعت السيدة المتصابية لتهبط منها فرارا من ضحكات الرجل الساخر ، ثم واصلت الطريق سيرا على الاقدام ، بعد ان شيعها الرجل

نسيم الحرية

كففت عن الناس شري وضري
وآمنت بالسجن مثوى الكريم
اراقب دنياي من شرفتي
وما هي الا نعيم الخلود
وقد عجل الله هذا النعيم
أحب الجميع .. وارجو لهم
ولا أحسد الزهرة اليانعه
فكم راعني انها رائعه
وان زاحمتني يد قاسيه
وهبت لها يدي الثانيه
يقولون سر في طريق الحياة
وها هي نفسي غدت لا تخاف
فمن قبل كنت أحب السفر
فيأبى الزمان على المسير
وكنت اتوق لرؤيا الجمال
وأسأل أين جمال النفوس
وكنت أحب سمو الحديث
كأن الملائك من أبتغى
ولكنني كنت في صحبتي
تخير من القول معسوله
واصفح عمن أساء الي
وها أنا اكثر صفحا وحلما
وأومن بالسجن مثوى الكريم
وقد عجل الله هذا النعيم

ولازمت بيتي .. فلم انقل
وقد يكرم السجن في المنزل
واقضي العقوبة في غرفتي
وبيتي هو الروض من جنتي
لأني اعيش بقلب سليم
على الدهر كل هناء مقيم
اذا رقصت فوق خضر الغصون
وان بها ينعم العاشقون
على نعمة ألقيت في يدي
وضاعفت صفحي عن المعتدي
وكم سرت منذ الصبى الأول
وان ركد الماء في الجدول
وتنزع روحي ، فلا تستقر
وتأبى القيود .. فأين المفر
فيخدع عيني جمال الوجوه
فأهل زماني قد انكروه
واكره ما شابه من هذر
لاصحبهم دون كل البشر
أجامل ما عشت هذا وذاك
اذا شئت بالقول ترضى أخاك
وان هو اخطأ قصدي النبيل
فلم يبق في العمر الا القليل
من الخلد هب عليه النسيم
لأني أعيش بقلب سليم

مصر الجديدة — عامر محمد بحيري

بقوله المتعمد الذي صبه في أذنيها صبا :

ــ مع السلامة يا أمي ...

كان شبحه يندفع وراءها ، ويلهبها بضحكاته الرهيبة ، والجملة التي شيعها بها لا تنفك تدوي في أذنيها ...

وما ان وصلت دارها حتى اجتازت ممر الحديقة بسرعة ، ثم دلفت الى الداخل بخفة وكأن الرجل الذي يزعجها بضحكاته يقودها امامه ، فقصدت المرآة من فورها ، وبدلا من ان تطالع صورتها وحسب، وجدت الرجل ذا النظرات الثاقبة ، والضحكات المريرة ، المفعمة بالسخرية ... انه ما زال يضحك ، بل اغرق في الضحك ... فالتفتت وراءها في رعب ظنا منها انه هبط من السيارة ، وتبعها ... ولما لم تجده وراءها ، شرعت تزيل ما على وجهها من طلاء، ومساحيق، ثم هرعت الى الحمام لتغتسل ...

وعادت لتلقي نظرة اخرى على وجهها ، وثوبها الاكثر احتشاما .. غير انها ما لبثت ان شعرت بفزع شديد عندما أزاحت الفروة الضخمة عن راسها ، فكشفت عن خصل فضية مصقولة ، ارهبتها ، وجعلتها ترد الفروة حيث كانت ، واسرعت لتعيد الخضاب الى شفتيها ، وهي غير عابئة بصورة الرجل الساخر ، التي ما لبثت ان تلاشت ...

القاهرة — محمد حسين عبد المجيد

مطولة احلام الراعي بين الواقع والرمز

بقلم الدكتور عمر الدقاق

* * *

لعل في هذا اللون من القصص الخيالي والاسطوري يتجلى النجاح الحقيقي لشعراء العصبة الاندلسية في المهجر الجنوبي . فعلى الرغم من ان هؤلاء الشعراء لم يستعيروا لقصصهم الشعري في هذا المجال اطارا من التاريخ او المجتمع بل عمدوا الى استمداد عناصره من مخيلتهم فانهم بلغوا في هذا اللون القصصي شأوا لم يبلغوه في ذينك اللونين السابقين ، فأغنوا بذلك الادب العربي الحديث بفن طريف تجلت ملامحه المبتكرة في : « الراهبة » ، « وحضن الام »، « واحلام الراعي »، « ولاييس »، « وآدم وليليت» واخيرا في « عبقر » . ويمكن القول انه فيما عدا ايليا ابو ماضي شاعر المهجر الشمالي يكاد ينفرد المهجر الجنوبي وبخاصة البرازيلي بالمطولات القصصية ذات الطابع الخيالي او الاسطوري ، وتعد الملحمة الشعرية « على بساط الريح » التي أبدعتها مخيلة الشاعر فوزي المعلوف الذي توفي قبيل تأسيس العصبة الاندلسية في طليعة النماذج الشعرية الرفيعة في هذا الفن ، الى جانب مطولة « عبقر » رائعة شفيق معلوف . وفي سبيل تبين ملامح هذا القصص الشعري ، لا بد من الوقوف عند هذه المطولات واحدة واحدة ، على قدر ما تسمح به صفحات البحث .

« احلام الراعي » لالياس فرحات نمط آخر من شعر القصص الرمزي ، ولسنا نعني بالرمز هنا الرمزية التي مارسها بعض ادباء الغرب في العصر الحديث مما يتصل باللفظة الشعرية وايحائها وجرسها ، ولكن الرمز الذي نعنيه هنا يتعلق بالمضمون الشعري ، فهو رمز تشخيصي يقوم على الباس الصور المعنوية لباس الاشخاص واجراء صفاتهم عليها ، وهو بهذا المعنى قديم في الادب نجده في كليلة ودمنة لابن المقفع وحي بن يقظان لابن الطفيل ورسالة الانسان والحيوان لاخوان الصفا ، كما نجده حديثا في اهل الكهف وشهرزاد لتوفيق الحكيم بالاضافة الى « احلام الراعي » لالياس فرحات .

وليست « احلام الراعي » قصة شعرية بالمعنى الدقيق ولكنها مجموعة من القصائد تتسربل بسربال القصص . وقوامها ست مطولات تترجم عن ستة احلام . ومن خلال هذا الاطار القصصي يعرب الشاعر فرحات عن خواطره في الحياة والمجتمع من خلال ما يراه الراعي في احلامه مصحوبا بالغضروف كلبه الوفي وسميره في وحدته.

ففي قصيدة « الخمر والحب والشباب » التي تروي لنا وقائع الحلم الاول نرى الراعي قرب الغدير يرقب نعاجه في المراح ثم لا يلبث ان تأخذه سنة من النوم يرى نفسه خلالها وقد أصبح يرعى شاءه في جبال القمر حيث غدت اظلافها ذهبا وصوفها متوهجا ، وفوق رأس الكبش تاج توضع فوقه الطل دررا والكواكب تحوم حول قرنيه ، ثم اخذ يرفرف حول الراعي عصفور « مرصع المنقار ، ذو ريشة من نور وريشة من نار » (1) .

قال : تمتع ان هذي الصور   لا تترك اليقظة منها اثر

وتنقلب الشاء في مثل لمح البصر حورا فاتنات وتشرع في الرقص ، ثم تنبري احداهن وقد دبت في عروقها النشوة :

يا (باخس) القدير   يا خالدا فينا
حول لنا الغدير   . . . .
ولا تبح أجسادنا للرموس   بل صغ لاتباعك منها . . .

ثم تقوم فاتنة اخرى من الحور فتشيد بالحب ، وما الحياة الا حب وغرام وجمال :

هذا هو ... وهذا الزلال   لا سكر في الدنيا كسكر الوصال

اما الغادة الثالثة فقد نافحت بحرارة عن عنصر الشباب في الحياة ، فليس كالشباب يحلو به العيش ، واي معنى للحب اذا انحسر ظله عن الانسان ، ثم تهرع احداهن نحو الشاعر وتقبله بنهم ، واذ ذاك يستفيق من حلمه مرتعشا فاذا اغنامه قد نأت عنه .

وفي القصيدة التالية « سلام الغاب » يحكي لنا الراعي حلما آخر يصور قسوة الانسان وشروره ، فحين يهاجم الذئب القطيع يبادر الغضروف الى رده ولكن احدى النعاج تعمد الى الثناء على الذئب وتقريع الانسان ، فالانسان لا يفتأ يثكل القطيع حملانه ويولم بها لاصحابه على حين كان الذئب أرحم منه لانه لا يفترس الا حين يجوع :

الذئب لا يسطو اذا لم يجع   وانت تسطو جائعا ومتخما
يا شر خلق الباري   لا تشتموا الضواري
ان الضواري انتم   والشر فيكم منكم

وفي هذه القصيدة يدعو الشاعر الى حياة الغاب حيث ينتفي الظلم والشر ويعيش المرء في مأمن من الناس .

ثم يرى الراعي في حلمه الثالث « محاكمة» ان العراك بدأ ينشب بين الشاء الآمنة اذ اشتبكت القرون وسالت الدماء ، وكان ذلك كله بسبب كبش دخيل به جرب وينطوي على الشر ، وكان قد أتى من وراء البحار بتحريض من المعز التي كانت تنظر شزرا من بعيد الى القطيع الآمن . واذ تحتكم الشاء الى قاضي القضاة يحكم بسلخ وجهه وتعليقه امام الملأ ليكون عبرة لمن يعتبر . ولا شك ان فرحات قد قصد في هذه القصيدة الى امور عديدة عن طريق الرمز : فالمرعى الجديب الذي رحل عنه القطيع ان هو الا الوطن الفقير الذي نزح عنه المهاجرون ، كما ان المرعى الخصيب هو المهجر الذي عاش فيه المغتربون في

---

(1) احلام الراعي ٢٤

ألفة وصفاء . ولم يكن ذلك الكبش الدخيل الذي أحال حياة المغتربين الى فرقة وخصام سوى اولئك الدعاة المفسدين الذين اتوا من لبنان واخذوا ينفثون سموم الحزبية البغيضة والطائفية الذميمة ، وما العمر الا تلك الافكار الخبيثة التي كانوا ينشرونها اينما حلوا فلا تلقى من الناس الا اعراضا ونفورا .

اما الحلم الرابع « فلسفة الغضروف » فهو ينطوي على حوار جريء بين الراعي وكلبه ، فعلى حين يشيد الراعي بالبشر ويعدهم سادة الارض وبناة الحضارة ويستهين الغضروف بذلك كله ويعد الانسان مصدر كل شر وان تمدنه زيف ودينه رياء ، أليس هو من يسطو على اخيه الانسان ولا يتورع عن تهديم البلدان وتقتيل النساء والاطفال ؟

ثم نرى في الحلم الخامس كبشا سيء الطوية يسود رعيته ويتظاهر بينها بالورع والتقوى ، انه يطلب من القطيع الطاعة لان اطاعته من اطاعة الرحمن . ويبدو ان فرحات يرمز بهذا الكبش الى رجل الدين الذي ينطوي على الشر والفساد والجشع ثم يتخذ من الوعظ ستارا لمآربه .

ثم لا يلبث الغضروف كلب الشاعر الامين ان يموت ، فيرثيه الراعي رثاء حارا ويعدد مآثره التي يعز وجودها في الانسان . وفي خلال الحلم الاخير يهيم الراعي وحيدا في بلد ناء استبد حاكمه بأهله واتخذ من الكاهن والغني عونا له على جلد الشعب . ويصادف الراعي خلال تجواله امرءا بشعا يقبل عليه متهللا فينكره ثم لا يلبث ان يعرف فيه كلبه القديم (الغضروف) واذ يستفسر منه عن مصابه يجيبه بأن الله بعثه انسانا عقابا له فسار على سنة الناس في الكذب والنفاق ، وعندئذ يدرك الراعي سبب افتقاده خصلة الوفاء التي كان يعهدها من قبل في كلبه الغضروف. واذ يتمادى الراعي في تحريض الغضروف على بث روح الثورة ويطلب منه ترك ما اكتسبه من صفات البشر والعودة الى مبادئه السامية يجد نفسه وقد احاط به جنود الحاكم المستبد ، واقتادوه ، وعندئذ يهب من نومه مذعورا ويصحو من حلمه ليرى قطيعه وقد سطت عليه الضواري ، وعندئذ يتذكر الغضروف ويترحم عليه ثم يعود خائبا وهو يقول :

غضروف ، يا حسرتي عليك ويا ذلي وذل المراح والشاء

تلك هي مجموعة احلام الراعي الشعرية في ملامحها البارزة ، وقد تفاوت نقاد الادب المهجري في تقويمها ، فعلى حين يعدها عيسى الناعوري « من اروع قصائد فرحات واشدها اصالة في الفن والشاعرية واوفرها حظا من جمال الوصف وتفتح الاحساس » (٢) لا يرى فيها وديع ديب سوى « قصيدة غير موفقة ليس فيها شيء من الابتكار .. » (٣) والشاعر فرحات نفسه يعرب لصاحب هذه الدراسة عن اعتزازه بأحلام الراعي ويقول ان لها عنده (منزلة ممتازة) ٤ وواضح ان هذه الاحكام جميعا تتصف بالتعميم . أما رأي فرحات في شعره فليس بدعا اذ لو وجد الاديب في نتاجه ما يعيبه لما اخرجه على صورته الراهنة ففي نشره اياه دليل على رضاه عنه . والشاعر على كل حال يقول سقراط — اقل الناس قدرة على نقد شعره .

ولعل ابرز ما نلحظه في تلك المجموعة الشعرية ان هذه الاحلام الستة او القصائد الست لا تنتظم جميعا في سياق قصصي واحد ، فكل حلم ينطوي على موضوع قائم بذاته ، بحيث لا يسلمنا الحلم الى الحلم التالي . وآية ذلك ان تقديم احدى القصائد على الاخرى او اسقاط بعضها دون بعض لا يضير المجموعة الشعرية في شيء ، بل ان الشاعر نفسه لم يجد في ذلك بأسا ، فمع ان قصيدته « سلام الغاب » متأخرة في النظم عن قصيدته « محاكمة » الا انها جاءت قبلها في المجموعة . ومثل هذا الامر يدل على ان الشاعر لم يضع لاحلامه مخططا شاملا او نهجا معينا بل كان — فيما يبدو — ينظم كل حلم منفردا حتى اذا اجتمعت لديه طائفة من الاحلام التي نظمها في اوقات متفرقة خلال ما يقرب من عامين (٥) عمد الى رصفها وترتيبها على هذا النحو الذي ارتضاه . ونحسب ان ذلك قد عمل على اضعاف عنصر التشويق في تلك المجموعة الشعرية . وكل ما في الامر ان خيطا دقيقا يسلك هذه القصائد الست ويجعل منها مشاهد متجانسة تتقاطر في صورة احلام تصدر عن رجل واحد وتتعاقب في خدمة فكرة واحدة .

ولكن «احلام الراعي» لا تخلو معذلك منطرافة،اذ ان اختيار موضوع الراعي واستسلامه للاحلام والتأملات في احضان الطبيعة الساجية ينطوي على ذوق مرهف وقريحة مبدعة ، كما ان تلك التسمية توحي من جهة أخرى بمذهب الشاعر الفكرى الذي يبشر به خلال هذه المجموعة الشعرية ونعني به اعراضه عن حياة المجتمع وعن معاشرة الناس ، واقباله على حياة الطبيعة وعيش الغاب . ولعل « احلام الراعي » هذه اقرب ما تكون من حيث فكرتها ومضمونها الى مطولة « المواكب » لجبران . ولكن فرحات يمضي في بث افكاره خلال احلامه الى مدى ابعد ، فهو ينزع منزعا انسانيا قوامه التنديد بشرور المرء وآثامه والسخرية المرة بدعوى تمدنه وارتقائه . ففي تلك المقاطع ثورة عاتية على الطائفية الذميمة التي تغرس الاحقاد وتزرع الشقاق بين ابناء الامة الواحدة ، وفيها ايضا ثورة على الاستبداد الذي يمارسه الحاكم تجاه رعيته ويدأب به على جلدهم بسياط الظلم ،

---

(٢) انظر كتابه « ادب المهجر » ٣١٠ ، وكتابه « الياس فرحات شاعر العروبة » ٧٥ .

(٣) انظر كتابه : « الشعر العربي في المهجر الامريكي » ١٣٠ .

(٤) من رسالة بعث بها الشاعر الي مؤرخة في ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥ .

(٥) امتد نظم « احلام الراعي » كما تدل على ذلك تذييلات الشاعر من اوائل عام ١٩٣٣ حتى أواخر عام ١٩٣٤ والقصيدة الاخيرة غير مذيلة بتاريخ في الطبعتين المهجرية واللبنانية .

وفيها ثورة على الاقطاع البغيض الـذي يتشبث به هذا الانسان الجشع في دأبه على اذلال الناس وامتصاص دمائهم، كما تنطوي احلام الراعي اخيرا على التنديد بفئة النفعيين من رجال الدين الذين يتبرقعون بمظاهر الصلاح ويجعلون من انفسهم قيمين على مصائـر الناس ويمكنون للحاكم الفاسد في الارض .

على ان ثمة عيوبا جزئية تبدو في « احلام الراعي » وتتصل بمضمونها وشكلها ، من بينها حديث العصفور الى الراعي خلال الحلم الاول :

قال : تمتـع ان هـذه الصور   لا تترك اليقظة منهـا أثـر

وهذا لا يتفق مع طبيعة الحلـم ، فمن المعروف ان النائم لا يدري انه في حلم لان الوعي بوقائعه يخرجه عـن كونه حلما بل يفسد طبيعته افسادا تامـا . وقـد راينا الشاعر نفسه يعرب عن ظاهرة اللاوعي في روءاه ، فهو في نهاية القصيدة يقول وقد ذهب عنه الحلم :

الفيت نفسي فـي مكـان وحيـد   والشاء ترعى فـي مكـان بعيـد

ومع ان الشاعر كان ينفق من جهة أخرى ابياتا كثيرة في وصف هامشي كما فعل في حديثه عـن استبدال بقعـة معشبة بأخرى مجدبة (٦) فانـه يؤثر الاقتضاب في مواقف تبدو اكثر اهمية ، فحين يحـاول الذئب اقتحام القطيـع وافتراس احد حملانه يتصدى له الراعي والكلب ، ومثـل هذا المشهد كان خليقا بالشاعر ان يستغله استغلالا طيبـا ويصور فيه تلك المعركة تصويرا تفصيليا حيا ، ولا سيمـا ان الشعراء العرب عرفوا بمثل هذا الوصف ، ولكن فرحات اكتفى بابلاغنا نتيجة النزال وان الذئب لم يصب حملا بـل « أصاب عصا وانيبا حدادا » .

أما فيما يتعلق بالاداء الفني فقد عمد الشاعر خلال قصائده الوصفية الى عنصر التصوير ، وقد جاءت قصيدته الاولى « الخمر والحب والشباب » أجمل قصائده واحفلها بالصور ــ على نحو ما تقدم ، كما ان من هذه الصور مـا تناثر في سائر القصائد مـن نحو وصفه احـد الكباش الضخام : (٧)

ذراعـه مجـداف   وبطنـه شـراع

أو وصفه الحي لجمال الطبيعة :

قـد لاحت الازهـار   بشكلهـا البديـع
كـأنهـا أزرار   فـي معطف الربيـع

ولكن كثيرا مـن أبيات فرحات في احـلام الراعـي لا يجري على هذا النسق ، فالنثرية تكاد تطغى على عبارته وتضعف من حلاوة جرسها ، ومن ذلك قوله : (٨)

.. والنحل في زي كبار الجنـود   وافت سريعا مـن جميع الجهات

او قوله واصفا عصا الراعي :

الارز من أهلها الكرام   هذا اذا لـم يكـن أباها

---

(٦) انظر « احلام الراعي » ٩٣ .
(٧) احلام الراعي ١١٧ ، ٨٨ على التوالي .
(٨) احلام الراعي ٢٠ ، ٤٠ ، ٨٦ على التوالي .
(٩) احلام الراعي ١٠٦ .

مركب المحار

وتاجـر المحـار
يجـول في البحـار
في مركب كان أبي قد صنعه
لكنما حفيده قد ضيعه

يقال ان والـدي
كـان امير الجان ...
كانت لـه مملكـة
وطيـدة الاركان ...
لكنـه راح ... ولم يعد

فصرت أستجدي ندى من صخور
وصرت لا اعرف معنى السرور
اتيـه في دوامة الترهات

حتـى غـدوت
هـزأة الساخرين
اللاعبين في كواكب المساء
والصاعدين عنوة الى السماء
يدوسني الركب الى غايته

لكنني ادوس هامة الشقيق
الثـأر ...
او للعزة القعساء والكرامه
او ليقال : ... منتهى الشهامه
الست ، بعد ... سيدا عريق

البصرة ــ عراق   سالم علوان الجلبي

أو واصفا نعاجه :

فاجتمعت حولي بـلا ابطـاء   مظهـرة الاعجـاب بالثغـاء

وقد تبدو على بعض ابياته وطـأة النظم واقتسار القافية كما في قوله متحدثا عن حياة البشر : (٩)

هل نحـن في تسـام   هـل نحـن في انصباب

على ان ما امتازت به مطولة « احلام الراعي » بحـق ذلك التنوع المعجب في اوزانها وقوافيها مما يدل على اقتدار الشاعر وافتنانه . واكثر ما كان يؤثـره فرحات البحـور القصيرة والمجزوءة التي تضفي على العبارة عذوبـة ورقة ، وهذه الخاصة بالاضافة الى تلوين الموسيقى الشعرية كثيرا ما ذهبت برتابة التعبير وزادت مشاهد المطولة تميزا .

حلب   عمر الدقاق



اميــل توفيق

ماهية التفــكير العــلمي

بقلم اميــل توفيق

***

انــواع التفكــير

يحدد سلوك الانسان في موقف معين الدافع النفسي لهذا السلوك ، وطريقة التفكير للتعبير عن هذا الدافع . وتختلف طرق الفتكير باختلاف مستويات التفكير . ويمكن تلخيص التفكير فيما يلي :

١ ــ المستوى الحسي (١) او مستوى الادراك الحسي ، وهو تفكير ينبني على مجرد الاحساس بالمدركات الحسية او المحسوسات .

٢ ــ المستوى التصوري (٢) وهو تفكير ينبني على ادراك التصورات فهناك اشخاص بصريون ، وهناك السمعيون ، وهناك الحركيون ، ومن الناس من يتميز بادراك اكثر من تصور واحد .

٣ ــ المستوى الثالث والاهم هو مستوى المدركات الكلية او الادراكي (٣) فهو مستوى يعتمد على ادراك المفاهيم الكلية .. ولذلك يمثل مستوى أعلى للحياة العقلية ، يرقى اذ يرقى ، الى الترشيد ، ويتميز بما يلي:

ــ التفكير في العلاقات .

ــ التجريد والتعميم ، أي تجريد المعاني ، والخروج بنتائج او عموميات ، وهي مرحلة اعلى من مرحلة المحسوسات والوقائع الخاصة من اجل الوصول لعملية فصل بها للتجريد والتعميم ، وهو ما يؤدي بنا الى التفكير العلمي .

التفكير العلمــي

هو أرقى انواع التفكير ، لانه محكوم بالتجربة . بعض الناس الذين يفتقدون الى الترشيد العقلي ، يتوسلونه بطريقة تفكير هي تفكير الرغبة (٤) . فهم يفكرون بمنطق رغبتهم ويجعلون الفكر خاضعا لهواهم ، فلا يهمهم من التفكير ان يصلوا الى الحقيقة او الى الحق .. ما يهمهم هو تحقيق اطماعهم ورغباتهم .

وعرف عن البدائيين ان تفكيرهم أحيانا يسير على اساس سحري .. فهم يعملون التجارب بعيدة عن الميدان الحقيقي ، وهم يقبلون الاساس العلمي ، كما يمزجون ذلك بتفكير الرغبة .

اما عن التفكير العلمي ، فهو ينبني اساسا على ما يسمى بفعل الفكر (٥) .

ونحن نقول ان انسانا ما قد بدأ يفكر تفكيرا سليما عندما يصبح « فعل الفكر » عنده قد تجرد من تفكير الرغبة ، او من عامل التشاؤم او التفاؤل ، او من الافكار التي تستعمل في السحر ، مثل فكرة ان الشبيه يستدعي الشبيه ، او فكرة ان النقيض يستدعي النقيض .

اما سياق فعل الفكر ، فانه يبدأ من الشعور بمشكلة ثم افتراض احد الفروض (او اكثر) لحل هذه المشكلة . ثم تعمل التجربة على اساس الفرض ، وتدون المشاهدات التي تؤدي عملية تحليلها الى نتيجة عامة ، وهي نتيجة قد تدعم الفرض أو تعدله او تدحضه .

وعلى هذا الأساس يصبح فعل الفكر اسلوبا علميا اذا حكمت هذه الخطوات التجربة العلمية بضوابطها .

والعملية التي تتضمن السير بهذه الخطوات اي من الحقائق المفردة الخاصة الى التعميم او القانون العام .. تسمى بالاستقراء (٦)

اما العملية العكسية التي تبدأ بالتعميم لتصل الى الحقائق الخاصة فتسمى بالاستنباط (٧) .

وفي ميدان العلم التجريبي ، لا بد من تطبيق الاستقراء والاستنباط كعمليتين اساسيتين للطريقة العلمية . كما ان التفكير العلمي قد اصبح الوسيلة الهامة التي تطبق في معظم الميادين ، والدراسات ، حتى الميادين الاجتماعية ، والانسانيات .

الفكر والحريــة والتقدم

ان الانسان كائن اجتماعي بطبعه ، وهو لا يمكنه ان يعيش بمفرده ، بل انه يؤثر ويتأثر .. وهناك تياران

---

(1) Perceptual
(2) Ideational
(3) Conceptual
(4) Wishful Thinking
(5) Act of Thought
(6) Induction
(7) Deduction

اثنان يؤثران في الفرد وفي المجتمع على السواء . التيار الاول هو التيار المحافظ ، وطالما انـه لا يعوق الحركات التقدمية ، فان وظيفتـه الرئيسيـة او الاساسية هـي الحفاظ على القيم الاجتماعية وعلـى تماسك الجماعة . والتيار الثاني هو التيار التقدمي وهو الذي يلبي حاجات المجتمع المتغيرة ، ويجابه مطاليب نظمه في شؤون السياسة والاجتماع والاقتصاد والصناعة والتربية والآداب والفنون وما اليها . وهذا التيار الثاني او التقدمي يتمثل في ثلاثة اتجاهات رئيسية هي التي تطبع هـذا العصر ، وكـل مجتمع متقدم بسمات هامة : الاتجاه الاول هو استخدام الاسلوب العلمي في التفكير او الاخذ بنتائـج التجارب او بمنطق التجربة او الفكر المختبر . والاتجاه الثاني يمثـل مطلبا يحمي الحرية ، ويعنـى بالفرديـة وهـو مطلب الديموقراطية . وتلبية هذا المطلب له صلة وثيقة بالاخذ بالاسلوب العلمي اذ يتيح عدم تعويق الاخذ بهذا الاسلوب، والتغيير الذي يحدث نتيجة الديموقراطية انما يحـرر المجتمع من الخضوع للسلطة التي تفرض مـن الخارج . وهذه الحرية انما تتيح النماء للقيم الاصيلة النابعة مـن الباطن ..

تكرر القول بأن هذا الاسلوب ـ او الفكر المختبر ، **لا يمكن الاخذ به الا بضمانات** تتيح حرية اجراء التجارب **واعلان النتائج او بعبارة موجزة** ضمانات الحريـة التـي **تجعل الاخذ بنتائج هذا الاسلوب** هو الطريق الوحيد لحل **مشكلات المجتمع الذي يبغي التقدم** ـ اي من اجل ايجاد الحلول لمشكلات الاسكـان والمواصلات والـري والبنـاء ومشروعات التصنيع ، والتخطيط للحد مـن الانفجار السكاني وتنظيم الاسرة ، ومقاومة الآفات ، والامـراض وادخال احدث الطرق العلميـة والتكنولوجية في مختلف الميادين . فضلا عن ان الديموقراطية هـي الجـو الحـر الطبيعي الذي فيه تتفتـح مواهب الشباب ، وتنمـو الطاقات الفنية .

اما الاتجاه الثالث فهو يلبي تغيرا آخر تدعو اليـه حاجات المجتمع للاخذ بالاساليب الخلقية وبنتائج الفكـر العلمي ـ وهو التغير الذي يدعو الى العدالة الاجتماعية ـ اي تطبيق النظرية التحررية القائمة على مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص وحق الناس جميعا في الحيـاة الحـرة الكريمة .

رؤية برتراند راسل من زاوية تربوية

ان شروط التقدم التي شرحناها في الفقـرة السابقـة ـ تتفق مع ما يراه العالم الفيلسوف برترانـد راسل مـن الآراء التي تضمنها كتابه « التربية والنظام الاجتماعي ».

فقد اوضح راسل ان التوفيق بـين « اتجـاه الفردية » (٨) ـ « واتجاه المواطنة » (٩) (وهما مطلبـان تربويان يتعارضان بالطبيعة) يستلزم ان تصبح التربيـة اداة للتغيير او التطوير . ولكي تصبح التربية اداة تطوير **فانه يلزم توفر بعض الشروط الهامة** . اولها ان القائمين بشؤون التربية انفسهم ينبغي ان يكونوا من طراز الرجال الديموقراطيين ـ الذين يوحدون اتجاهاتهم ومبادئهم مع **الاتجاه التقدمي الجديد** ـ لا من النوع المتغطرس المستبد **المعوق لكل تطور** ، او النوع الذي يحب السلطة والمظاهر. والشرط الثاني ان دعاة التغيير في الدولة يجب ان يتميزوا بسعة الادراك وبقدرة عالية من التصور او التخيل تمكنهم من الحكم الصحيح ، وتجعلهـم متفهمين للقيـم التـي يستهدفون الوصول اليها او المباديء التي يرون انها ينبغي ان تسود المجتمع مستقبلا دون ان يكون لهم هدف الغنم او النفع الشخصي . ودعاة التغيير هؤلاء يجب ان يكونوا ممن يطبقون الاسلـوب العلمـي ، سواء في المشكلات الصناعية او الاجتماعية . على ان الشرط الثالث والمهم لاحداث التغيير المطلوب هو عنصر التماسك الاجتماعي لانه يعتبر القوة الارادية الدافعة الـى اهـداف المتغيير والتطور .

شبين الكوم ـ مصر — اميل توفيق

(8) Individuaism . (9) Citizenship .

حكاية عمر

★

الشوق والليل والأحزان ترهقنـي
واضيعـة العمـر والحرمـان والسـأم
حكايـة لـم تـزل تطوى جوانحهـا
أهـواء ثغـر علـى أحنائـة نغـم
حلـم يظـل مـدى الايام يسكرنـي
وعاطفـات يرويهـا هـوى عـرم
يـا فتنـة فـي ضمير الوهـم شاردة
يفديـك قلـب شقـى هـده السقـم
انـي هنـا رهـن أشواقي تمزقنـي
نـار الحنين ويـدمـي روحـي الألـم
أين الوعود ؟ أتمسي فـي يـدك سدى
وقبـض ريـح طواهـا اليـاس والعـدم

بغداد — عبد الخالق فريد

غريب في المدينـة

أنـا .. في المدينه
يلوب بقلبي شعور غريب
واجتاز الف طريق طويله
كافعى تفح .. فتبلعني كالذنوب
.. وتلفظني كالعيوب
أنـا .. في المدينه
غريـب ..
كوصمة عـار لعينه ..
تمر بـي العربات الثقيله
فـلا أشعـر ..
ويصرخ حوذيها بي : عجيب !! ..
ألا تنظـر ؟ ..
فامشي .. وتتبعني لعنة غاضبه
واغنيـة شاحبـه
تضج .. تسد بوجهي الدروب
وصوت يجلجل في وجهي المستريب
غريـب ..
غريـب ..

أنـا في المدينـه
غريب .. طريد ..
يقاتـل حتـى الذباب ..
وينسد في وجهه ألف باب
تواكبني اغنيات حزينه
وتفعم سمعي .. وعيني تراب
وتقتادني قدماي .. بلا أي حس
فامشي ..
وعيناي مصلوبتان بألف جدار
معلقتان .. على اليافطات الشحوبه
كهبـو الغبـار ..
ويصدمني كل مـار ..
ويشتمني .. لكأني عثار
فأمشي الرصيف .. الرصيف ..
وشيء مخيف .. مخيف ..
يحدجني بعيون غريبـه
ويصرخ في وجهي المستريب

غريب ..
غريب ..

غريب ..
وتعرف حتى النوافذ .. اني غريب ..
فالمح فيها عيونا تطل عليا
عيون نساء تحملق فيـا
وتهمس في كلمات
فلا شيء اسمع فيها .. ولا افهم ..
فحتى الكلام هنا .. مبهم ..
وأمشي .. تلاحقني ضحكة داعره ..
وقهقهة ساخره ..
تضج بهـا الشرفات ..
وصوت يعربد في وجهي المستريب
غريب ..
غريب ..

غريب .. أنا يا حبيب ..
غريب .. أنا في المدينه
يمزق قلبـي الضياع ..
يعشعش فيه الفراغ
اضيع بمفترق الطرقات .. كأني شراع ..
وابحث في اوجه السابله ..
وفي زحمة الناس .. في الحافله ..
افتش عن وجهك الشاعري ..
فلا شيء حولي .. سوى الاوجه الشاحبات
ولـون الغروب ..
يدب على الاسطح الشاهقات
ويسكب في شعورا كئيب
يواكبني في جميع الدروب ..
وصوت يجلجل في وجهي المستريب ..
غريب ..
غريب .. أنـا يـا حبيب ! ..

حلب — محمود محمد كلزي

احدهما يرتدي بنطلونا رماديا وقميصا أبيض ويضع على عينيه نظارة كأنها اللثام ـ ربما كان طرازها احد العوامل التي ساعدت على اخفاء وجهه ـ يتلفت يمنة ويسرة ولكن ... بحذر .

الاخر يأتي من هناك .. من ناحية اخرى يسير بخطوات واسعة ربما ليدرك ميعاده .. او لعلها خطوات واسعة مقتحمة تمثل سمة من شخصيته .. في راس كل منهما احاديث تقول للاخر .. لا بد انه انت .. المعلومات التي لدي تثبت تصرفاتك وهيئتك .. ما علينا .. كل دقيقة تمر .. ستثبت اولى خيوط الحقيقة .

محطة القطار غير مزدحمة كما كانا يأملان او كما رسم لهما .. هما الاثنان .. على اية حال .. بدأ الناس يتدفقون .. فهل ستساعدهما هذه الفوضى ؟ ربما ساعدتهما على الا يلاحظ احد انهما على اتفاق .. ولكن .. لعل الزحام لو كان أخف لاستطاع كلاهما ان يتحقق من صاحبه ..

اللحظة ليست لحظة تأملات او تمنيات .. المهم ان ينفذ كل منهما .. الاوامر التي القيت اليه ..

قفز ذو البنطلون الرمادي ـ بسرعة الدرجتين اللتين توصلان الى مقطورته .. وقال لنفسه سرا .. الاولى .. الثانية .. الثالثة .. الرابعة .. حسن .. هنا بجانب النافذة الداخلية التي تطل على المر .

والآخر ذو الخطوات الواسعة.. يتريث قليلا على رصيف المحطة .. لكنه يسير بعد دقائق على نفس الرصيف ثم يلمح ذا البنطلون الرمادي .. فيقفز هو الآخر الدرجتين اللتين توصلان الى صالون المقطورة .

. عندما وصل الى الصالون تأمله بسرعة .. وقبل ان يتخذ مجلسه لمح في نفس الصالون امراة في اواسط العمر معها طفل صغير .. قال في نفسه .. سأجلس قبالته تنهد قليلا .. اخرج منديله من جيبه .. لم يكن الجو حارا .. كما كان صافيا لا تشوبه الشوائب او الغبار ولم يفرز بعد عرقه ، ومع ذلك فقد مسح منتصف رأسه بالمنديل .

رنا اليه ذو البنطلون الرمادي وقد فهم مغزى كل حركاته .. مرت دقائق .. ثم اخرج علبة سجائره وقد اطلت منها سيجارتان وقال : تفضل ..

فقال الثاني : شكرا .. ولو انني لا ادخن كثيرا الا ان لي رغبة هذا الصباح .

القطار

بقلم هدى جاد

اومأ الاول برأسه بحركة تقول : تحققت تماما من شخصيتك او لعلها حركة تنبىء بالموافقة كما تقضي المجاملة .

قال الثاني همسا : المستر ؟

أجاب الاول : براون ..

قال الثاني : اسمي .. رودلف .

لم يكن هذان اسميهما الحقيقيين .. ولكن الاجابة كانت مضبوطة .. حسب التعليمات التي صدرت اليهما من سلطات عليا ..

اتجه براون برأسه الى النافذة وتتابعت الصور مع خط سير القطار .. مباني حديثة اراضي قاحلة واخرى مزروعة بنبات لم يشب بعد عن الطوق وبعض الافراد يركبون الدرجات .. وقطع عليه تأملاته رودلف .. أنحن في أمان ؟

ـ يخيل لي ذلك .

ـ لقد وصلت قبلي .

ـ لو وصلت في نفس ميعادك لربما تعذرت علي معرفتك !

ـ تماما .. من أي بلد أنت ؟

ـ من (..) التابعة لولاية (..)

ـ تبعد عن بلدتنا مائة كيلو .

ـ أتؤمن بمهمتك ؟

ـ سؤال خطير .. ثم لا داعي له .. المهم هو وجودي الآن .. وجودي ووجودك .

ـ هيه .. لعلك تؤيد ما في خاطري .. عندي دافع للاقدام على تلك المهمة .. اما ما هو الدافع .. فهنا .. القضية ..

ـ لا اعترف باستقلال الدول الصغيرة .

ـ قائلا بلهجة ساخرة اذن فأنت تمثل ...... ؟

ـ ولم لا تلقي هذا السؤال على نفسك .. ألسنا نمثل جبهة واحدة وغاية واحدة ؟

ـ لم تعرف بعد دافعي ؟

ـ قائلا بصوت حذر لن يغير هذا من تنفيذنا للخطة ..

ـ هل قمت بمهام سابقة ؟

ـ نعم .. كثيرا .

ـ وهل أفلحت ؟

ـ يا له من سؤال ! وكيف لا دمت تراني معك الآن ..!

شملتها بعد ذلك لحظات صمت..

لم يقل براون لزميله انها اول تجربة له ولاحظ في تصرفات واقوال رودلف أنه لا يعنيه الدافع ما دام يلبي رغبات سلطات عليا .. ولكنه لا يدري انه (اي براون) حديث عهد بالزواج كما ان له ابنة مصابة بشلل الاطفال وانه في احتياج ، بل في أشد الاحتياج ... الى اموال تنفق على علاج ابنته الحبيبة وان

قصة

وظيفته المتواضعة لا تسد ثغرات استهلاكه .....

واخرج من جيبه سيجارة واشعلها .. وحدق في دخانها وهو يتصاعد في حلقات رأسية ولمح في ثناياها صورة زوجه بجمالها الرائع وسماتها العذبة وصوتها الرقيق وسرعان ما تلاشت صورتها ، وانبثقت اخرى لحبيبته الصغيرة ماري براسها الذهبي كأنها وردة متطلعة لاشعةشمسية دائمة الانارة، لكنه اغمض عينيه ألما عندما لمح عكازيها تحت ابطيها ... ورن في اذنيه صوتها العصفوري وهي تسأله : ألمح زملائي وزميلاتي في المدرسة فأراهم يقفزون ويركبون الدراجات ويتسابقون في مباريات للجرى هل سأصبح مثلهم في يوم ما ... ؟

وسأله رودلف : أليس لديك ما تقوله ؟

وتنبه براون على صوت زميله لكنه أشاح بوجهه الناحية الاخرى ولمح المراة وطفلها فداعبه قائلا : اتذهب الى المدرسة ؟

ابتسم الطفل في حياء .. ولم يرد .

واعتقد رودلف انه سيحصل على اجابة عندما سأل المراة قائلا : أليس ابنك ؟ وفوجىء بها تتحدث بلغة اجنبية ..

فابتسم براون وقال : اتعتقد ان ذلك غاب عنى ؟

ـ اذن لماذا تحدثت ما دمت تتكهن بالنتيجة ؟

ـ احيانا يقدم المرء على تصرفات لا يكون مؤمنا تماما بصحتها ..

وتنهد رودلف .. ادار راسه ثانية ناحية المراة والغلام .. ولاحظ فيهما ـ ربما للمرة الاولى ملامح تمثل بلدا شرقيا او افريقيا لا يدري وقد اتخذا هيئة ساكنة .. راكدة .. أيمثلان الغموض .. أم السكون الذي يسبق العواصف ؟

وانبثقت امام ناظريه بلده ـ التي اصبحت تبعد عنه كثيرا جدا ـ وبعض الملونين واضطرابات ومظاهرات ولافتات‌ثم قتلى وجرحى وتنهد .. لا سيحارب هؤلاء الملونين .. في كل وقت وزمان ومكان .. اما هذا القابع امامه فهو يتقمص هيئة الانسان ..

تلفت يمنة ويسرة .. واحس بالضيق .. الانسان امامه والركن الشرقي الى يساره .. سيخرج الى المر .. أطل من النافذة وعلى مدى بعيد شاهد .. الكوبري جبارا عنيدا .. عاليا .. وابتسم .. بعد



هدى جاد

●

.. بعدكم ؟ ربما بضع ساعات سيصبح في خبر كان .. وليهنأ الملونون ..

كل ما يبنونه سيهدم .. الكباري .. المصانع .. يقولون انهم .. اول من احتل البلد .. الاصل .. الاساس .. اما نحن البيض فمتطفلون .. حسن .. سنرى لمن الغلبة ...

انه يذكر تماما عندما كان في مدرسته واحتدم الجدل بينه وبين احد الملونين وتفاقم الشجار وتفاقم وتزاحم البيض والملونون وكونا فريقين او لعلهما انحسرا عن فريق ضخم العدد كان يمثل اللون الابيض وآخر ـ يبدو قميئا ـ يمثل الملونين ..

ومع ان عدد الجرحى من البيض فاق عدد الملونين الا انه اقنع نفسه وبعض زملائه بانهم المتفوقون .. وتمر الايام وتصل الانباء الى الرؤساء مما حدا بهم الى ان يختاروه ... وها هو الآن في ذلك القطار الذي يجمع الكثيرين ذوي الاهداف المتباينة .. لكنه في قرارة نفسه يحس بانه صاحب الاولوية في قصب السبق .

الكوبري تتضخم صورته كلما اقترب منه القطار ويحس رودلف ان الكوبري ينتفخ ويعلو الا انه لا يتحرك قيد انملة ؟ هيه .. انا الوحيد الذي يعلم ويدرك ان نهايتك قريبة .. اعلى .. وتضخم .. فلن يعنيني هذا ولن يثبط من عزيمتي .. ان نهايتك محتومة ..

رودلف يدير ظهره للمقصورة التي كان يحتل ركنا مظلما منها .. يدير ظهره لزميله (الانسان) براون .. يدير ظهره للمراة وابنها .. اما براون فانه ينتقل من مكانه ليواجه المراة وطفلها ويرنو اليهما بحنو وتتبدل ملامح الطفل فاذا به وجه ماري الحبيبة .. ويهز راسه هزة المتمني فلا عكازات تحت ابط الطفل بل حركة دائمة وتلفتات متوالية... يبتسم للطفل ويدخل يده في جيبه ثم يناوله بعض الحلوى والام ترنو الى ابنها محذرة لكنه لا يعير نظرة امه اي اهتمام ويأخذ منه قطعة الحلوى فرحا .

يبدو ان الالفة قد جمعت بينهما، فالطفل لم يكتف بما اخذه لانه يشير الى النظارة التي تشبه اللثام معبرا عن انه يريدها وبراون يلبي طلبه فيرفعها من على عينيه ويسلمها له.

رودلف في التفاتة حذرة يلمح ما حدث بين زميله الانسان والطفل ذي

الهيئة الغريبة .. في ثوان يتحرك بسرعة ويهمس لبراون : هل جننت؟ كيف تناوله النظارة ؟ لقد كانت احدى سماتك فكيف تتخلى عنها ؟ ساشكوك للرؤساء .. ام لعلك تريد ان تضيعنا ؟

وقال براون (بثبات) : الحلكة.. تكاد تعمي عيني .. لم اتعود ان ارى في الظلام ..

واجاب رودلف (بعصبية) للضرورة احكام .

ــ لقد بدا الندم يساورني .

وقال رودلف (غاضبا) : منذ ان حادثتك وانا متوقع انك ستتصرف تصرفا طائشا افعل يا اخي ما شئت ولكن لا تضيعنا .. الا تراني متحمسا .. مخلصا ؟

ــ هل بقي الكثير ؟

وقال (ساخرا) : لم تبق الا عشرون دقيقة .

وسأل براون (بهدوء) ثم ماذا ؟

واجل رودلف (بلهجة اكثر رقة) نحن معا .. لن نضع شيئا ماديا .. كل تصرفاتنا هي ان نرشو الشخصين اللذين سنقابلهما وسيقومان بكل العملية .. اتفهمني ؟

وقبل ان يجيب براون يمد الطفل يده بالنظارة ضاحكا ثم يسلم عليه ويخرج مع امه .. تمر دقائق ثم يقف القطار .. ويلمح الرجلان الطفل مع امه على الرصيف ثم يتحرك القطار مستأنفا سيره .. اما براون فيطل من النافذة ملوحا بيده محييا واذا به يلمح شيئا غريبا فقد صاح الطفل مع امه بصوت عال .. وتطوع احد الواقفين على الرصيف قائلا بلهجة انجليزية موجها كلمته لبراون وزميله : لقد أخطأ المحطة كانا يريدان المحطة التالية !

وهنا يضحك رودلف بصوت عال قائلا : الم أقل لك ؟ هؤلاء القوم يتخبطون ... لا يعرفون أين يضعون اقدامهم ...

وبعد دقائق يجلس براون متنهدا وهو يقول : لست ادري لم اقدمت على تلك المهمة .. ولماذا اختارني هؤلاء الرؤساء ؟

ورودلف (مؤمنا) أوافقك تماما .. فمنذ ان جمعنا القطار وانا اسائل نفسي .. ما هو دافعك ؟

وقال براون (بثقة) : كدت ــ متطوعا ــ ان أشرح لك الدافع في اول لقائنا لكنك كما يبدو ترفض الاستماع لحديثي وتفضل الاصغاء لحديث نفسك .. أتظنني لم اسمعك وانت تحدث نفسك ؟ صوتك لم يصل الى اذني لكنه وصل الى نفسي .. في تحركاتك وسكناتك وايماءاتك الى الام وطفلها ثم بريق عينيك عندما لمحته ..

وسأل رودلف (باهتمام) : لمحت ماذا ؟

ــ الكوبري .. العملاق !

ويقرب رودلف راسه من براون محاذرا في خفض صوته .. : ان كنت نسيت او تناسيت فدعني اسمعك .. هذا الكوبري وسيلة اتصال رئيسية في طريق السكة الحديد الوحيد الذي يستخدم لنقل نحاس (هذه البلدة) الى موانيء شرقي افريقيا حيث يتم شحن النحاس منها الى الاسواق العالمية واذا قدر لنا ان تتم عملية نسف الكوبري بنجاح تام حيث لا يبقى منه جزء سليم .. اذا تم كل ذلك كما نريد فان نقصا خطيرا في النحاس سيسود العالم مما سيترتب عليه ارتفاع مذهل في الاسعار .. عند ذلك لن تبقى الا بلدنا .. الاولى في انتاج ذلك المعدن النفيس .. النحاس ..

اما هذه البلدة فلن تزهو بعد ذلك بشيء الا بأفرادها الملونين !

ها .. ها .. ها .. اطلقها بصوت عال.. ولم يحس بأن اصواتا اخرى كانت تصاحب تلك الضحكات العصبية وهي اصوات انقلاب عجلات القطار من على شريطه ...

ولا يذكر براون في لحظات ذهوله وبداية شعوره بالغيبوبة الا بعض الصور الحبيبة .. صورة ماري ابنته الحبيبة ثم صورة زوجه ، ولم يسمع الا كلمات قليلة مبتورة تبعت ضحكات رودلف .. وهو يقول .. لقد انتهى كل شيء .. انتهينا .. وبقي الكوبري كما هو .. آه .. آه .. كم أتألم .. كم أتألم ..

القاهرة **هدى جاد**

الحروف الاخيرة

★

قولي : انتهينا ، وانتهى الحب
للشوق في أعماقنا سبل
ولت حكايتنا فلا عبق
هذا اللقاء المر يسحقنا
هيفاء ! كل حديثنا كذب
قولي : انتهينا .. قصة عبرت

قولي ... أشيء للهوى بعد
جدباء ، لا يزهو لها ورد
يسري .. ولا أمل .. ولا وعد
ويهدنا الترحال ... والسهد
وغرامنا.. والحب .. والعهد
يبكي على انقاضها المجد

محمد زين جابر



حسان الكاتب

عبدالله يوركي حلاق

بقلم حسان الكاتب

***

يتميز الاديب بحس مرهف وقلم سيال وعبارة ساحرة . ولعمري فقد اجتمعت هذه الصفات كلها في اديبنا عبد الله يوركي حلاق ... فهو أديب وشاعر وانسان مليء بالعاطفة الجياشة الصادقة .. ويتميز بائرة واخلاص لاخوانه في الكلمة .. ومن يعاشره يجد فيه أجمل صفات الانسان وأحلى ما يريده من صفاتٌ بني البشر .

ففي حلب الشهباء ، وفي الثالث عشر من شهر حزيران لعام ١٩١١ (١) ، كانت ولادته وفيها شب وترعرع ، فكانت دراسته في المدرسة الكبرى للروم الكاثوليك بحلب . وقد أهتم بالشعر والادب منذ حداثته، ودرس في كبريات مدارس الشهباء كمدرسة اللاييك ومعهد حلب العلمي وبعض مدارس المعارف مدة (٢٦) عاما . والف عددا من الكتب الادبية والتاريخية وطبع منها « الزفرات » مجموعة قصص قصيرة ، و « في حمى الحرم » قصة طويلة ، و « خيوط الغمام » ديوان شعر ، و « وضوح الاملاء » ، و « حصاد الذكريات » ديوان شعر كبير . وفي شهر كانون الثاني من عام ١٩٣١ أصدر مجلة « الضاد » وقد صدر منها حتى الآن ٤٢ مجموعة سنوية وحرر مجلة « الكلمة » لصاحبها الاستاذ فتح الله الصقال ، التي يراس تحريرها حاليا . وهو يحمل دبلوما في الصحافة من كلية الصحافة المصرية .

في عام ١٩٥٩ ، انتخب عضوا في الاتحاد القومي ، ثم عين في ١٨ - ٧ - ١٩٦٠ عضوا في مجلس الامة بالقاهرة ، وكان العضو المسيحي الوحيد في لجنة الدستور في مجلس الامة عن الاقليم الشمالي كله . عمل في الحقل الوطني منذ حداثته ، واشترك في مناهضة الفرنسيين ، وكان عضوا في مجلس ادارة الحزب الوطني بحلب .

نظم اناشيد وطنية اذيعت بعد ان لحنت وكان ينشدها الطلاب .. والقى كثيراً من الاحاديث الادبية في الاذاعات العربية ، وخصوصا اذاعة وتلفزيون الكويت .. وعمل في كثير من المشروعات الخيرية ، وهو اليوم عضو في اتحاد الجمعيات الخيرية بمحافظة حلب . سافر الى مصر والكويت والعراق والاردن وفلسطين ولبنان وتركيا . كما اقيمت له حفلات تكريم في كثير من البلاد العربية . له ديوان شعري ثالث لم يطبع ، عنوانه « اغاني الوحدة » وبضع مجموعات تاريخية وادبية منها : « حضارتنا العربية » و « مكتبات حلب ومطابعها » و « اعلام الادب المهجري » و « الحلبيون في المهجر » . وهو عضو لجنة الشعر في دمشق منذ عام ١٩٦٠ وعضو اتحاد الكتاب العرب في حلب ، كما عين منذ عامين مقررا للجنة الشعر في اتحاد الكتاب في الشهباء وعضوا للجنة النصوص في اذاعة حلب .

ولعل الاقلام التي تناولت شعر الاستاذ عبد الله يوركي حلاق كثيرة لما فيه من عمق تجربة ، واصالة فن ، وبعد مرمى ، ويقول الشاعر الاستاذ محمد عبد الغني حسن في تقديمه لديوان « حصاد الذكريات » : « وهو شاعر يحب الحياة على الرغم مما فيها من متناقضات .. اننا نراه انسانا يقبل على الحياة والاحياء بشهوة » ... الى ان يقول « يخيل الي ان المضغة التي جبل منها شاعرنا قد صيغت كلها من خالص الحب ، فان لفظة الحب ومشتقاتها تدور في هذا الديوان المرات الكثيرة ، حتى في غير باب الغزل الذي هو مظنة هذه اللفظة الحلوة » ثم يقول : « اما القوافي فما لاحظت على واحدة منها قلقا أو اضطرابا أو نبوا » . وقد اختار لقصيدته « زحلة » قافية على وزن « زحلة » فكانت ارق ما قرات من قواف .. وكذلك في قصيدته الساقية ، وقبلة ، وسمراء ، والصور تكاد تكون لوحات جميلة حية زاهية ، مشرقة نابضة بالحركة ، زاخرة بالالوان ، وما أروع تصويره للفستق الحلبي الذي اشتهرت به حلب .

وللشاعر بدوي الجبل الاستاذ محمد سليمان الاحمد قول في المترجم له :

(١) كما ذكر لي تاريخ ميلاده في رسالته المؤرخة ٩ - ١٢ - ١٩٧٢

« لا اعلم أيهما أسنى وأملح، واعبق بالعطر والنور ، أشعرك الغني بالعاطفة والخيال والصور والنغم على ديباجة وشي الحرير ، أم شمائلك الندية بالوفاء والاخاء.

ديوانك شعر ، والاهداء الذي صدرته فيه شعر ، فقد اعدت في هذا الاهداء ، ذكريات « هنانو » وبطولاته وفتوحاته ، واعدت فيه ذكريات غالية أصيلة للاخ الكبير والانسان الكبير الاستاذ فتح الله الصقال ، وما رنح الاعطاف من أريحياته ومروءاته وانتصاره للحق والحرية، في محنة الحق والحرية يومئذ ، برائع من بيانه ، وبرائع من ايمانه » .

ويقول الاستاذ كرم ملحم كرم في تقديمه الديوان الاول « خيوط الغمام » :

« وفي خيوط الغمام شعر ما ندت عنه الرشاقة ، ولا جفته العاطفة ، فالسلاسة تجري فيه على انبساط ، والانسجام يسدد خطوه برفق هنيء ، وعطف سخي ، والوصف البهيج يرقص في مطاويه ، ففي الاداء اجادة تدل على عين ثاقبة وشاعرية مسعفة طروب » .

اما الشاعر الاستاذ قيصر معلوف ، فقد قال في ديوان خيوط الغمام والشاعر :

نفحات شعرك والنسيم الساري	**حملا شذا الازهار في نوار**
حلب وما حلب بمن فيها سوى	**روض بازهار الندى معطار**
هذه « خيوط غمامها » تسقى من	**الفصحى الندية روضة الاشعار**
تزهو ازاهرها ويحلو حملها	**وبه غذاء الروح والافكار**
حق (لعبد الله) أن بارى بها	**من نخبة الشعراء اي مبارى**

وفي خيوط الغمام يقول الشاعر الاستاذ خليل مردم:

« في خيوط الغمام شعر عربي أصيل ، متسم بالرقة والابداع والخيال الوثاب ، واني لاثني الثناء الطيب على ما تبذلونه من جهد في خدمة اللغة والادب » .

ويقول الاستاذ أحمد دوغان في الشاعر :

« شاعرنا انسان يحمل آلام غيره ، معتز بأمته وعروبته ، فخور بلغته ، وعنوان مجلته أصدق صورة لايمانه بالعروبة .

اما شعره فلا أستطيع أن أصوره الا بالخميلة التي تمر بها الفصول الاربعة فتضحك للربيع ، وتبسم للصيف، وتلبس ثوب الحداد في الخريف وتتجهم للشتاء.

وهذه الخميلة ليست أشجارها كما نظن ؟ وانما أشجارها دائمة الخضرة ، وسيمة الطلعة ، اصيلة تنتمي الى شجرة عربية عاشت في الصحراء العربية ، والى النخيل في العراق ، والى الصفصاف على الساحل السوري . سقيت هذه الشجرة من ماء دجلة والفرات والعاصي ، واستجمت بمياه النيل .. وقد غنى فوقها الشعر كل الوانه » (٢) .

ويصف الاديب الراحل الاستاذ سامي الكيالي أديبنا بقوله :

« الاستاذ عبد الله يوركي حلاق أديب سلس الاسلوب ، وشاعر تثيره المناسبات الاجتماعية والقومية والاخوانية .. » (٣) .. ويتابع قوله : « فيصورها بشعر دافق وعاطفة جياشة ، وله قطع غنائية غاية في العذوبة ، ولا سيما حينما يصف مفاتن الطبيعة وجمال الحسان » .

وللغة الضاد في نفس صاحب « الضاد » الاثر الاكبر في تكوين ذوقه الادبي :

سابذل في سبيل الضاد جهدي	**لتسمو الضاد بالادب الرفيع**
فحب الضاد ينمو في فؤادي	**نمو الزهر في فصل الربيع**

انا صب تيمتني لغة	**صانها القرآن أسنى الكتب**
ولي لغة أعلى الكتاب مقامها	**فسارت مسير النور شرقا ومغربا**
بها نزل القرآن هديا ورحمة	**فرد غليظ الاصغرين مهذبا**
وان كلام الله آيات حكمة	**فمرحى لامي وعاه ليكتبه (٤)**

والاستاذ الحلاق شاعر متفائل صبور يحلم بدنيا هادئة وادعة تقتل خيوط الوهم .

يا ناسجا من خيوط الوهم بردته	**لذ بالحقيقة ان الوهم غرار**
ماذا سباك من الدنيا وزخرفها	**آل وفي صفوها هم واكدار**
دار الزمان ولا تغررك بسمته	**وحاذر الدهر ان الدهر غدار**

وللجمال عند الشاعر قدسية يجلها ، وقد اعترف لنا اكثر من مرة ، أن الجمال عنصر هام في الوجود ، لا يمكن الاستغناء عنه ، فهو آية الفنان ، ومبتغى الانسان ،

ما جمال الكون الا	**بالصبايا والشباب**
فاذا متن وماتوا	**ساد في الدنيا العذاب**
وتوارى الحسن منها	**ومضى الصفو وغاب**
فارع أسراب الصبايا	**واحفظ الشبان يا رب**

في هذه القصيدة ، نجد أن جمال الكون بالصبايا والشباب ، والحسن ، وما علينا الا ان نحافظ على الفتوة والشباب .

أما الفستق الحلبي فله في شعره ميزة خاصة وحلم يغنيه ، ويجد فيه ما لا يجد من الوان الطبيعة ، فيهبه لحنه الشعري ، ولفظه السلس وأسلوبه الخصب ، فيقول فيه :

والفستق الغيران يحكي	**في جوانبها الشفاها**
يختال فوق غصونه	**كعرائس لبست حلاها**
لما أطل البدر شقت	**كل فستقة رداها**
ورنت الى بدر الدجى	**فأعارها البدر انتباها**
وهناك شاءت ان تعا	**نقه ففارت قشرتاها**

وقد أخذ حب الوطن والتضحية والمجد والجهاد من الاستاذ الحلاق كل مأخذ ، وقصائده في هذا الميدان تنبض بتأجج العاطفة وصدق الوطنية ، فهو يقول :

وطني فردوس أنسي	**ومنى قلبي ونفسي**
انني أحمي حماه	**بيراعي وبطرسي**
تربه تبر وعندي	**انه اقدس قدسي**

---

(٢) الشاعر الانساني عبد الله يوركي حلاق ، بقلم الاستاذ أحمد دوغان .

(٣) انظر كتاب الدكتور عمر الدقاق « فنون الادب المعاصر في سورية » ، ايضا .

(٤) الادب العربي المعاصر في سورية ، للاستاذ سامي الكيالي .

والوحدة العربية تأخذ من حبه ومن ذاته ما تشتهي ، فيعطيها روحه فوق ذلك :

كل قطر عربي وطني رغم ما يفصلنا من تخم
كل حر وحدوي مخلص هو من روحي وان لم يعلم

والوطن الذي انجبه له في شعره قصيدة غناء طويلة ، لا ينسى أن يرتلها في كل حفل أو ناد ، فهو عربي يفتخر بعروبته ونسبه ولغته . (٥)

عربي عربي عربي ولي الفخر بهذا النسب
الف شعر لا يوازي طلقة أفرغت في مهجة المغتصب
فاضرب البغي ومزق شمله خائن انت اذا لم تضرب
قلعة الطغيان لا يهدمها غير صاروخ وزند عربي

ولقد كان لقائي الاول بالاستاذ الاديب الشاعر عبد الله يوركي حلاق في فندق علام بدمشق حين سلمت عليه ، وفي داري حين زارني بتاريخ - ١٣ - ١ - ١٩٧٣ .. ولقد وجدت فيه انسانا ممتلئا طاقة وحيوية وشبابا وانسانية .. واديبا يجري البيان على لسانه سحرا حلالا .. وشاعرا يتدفق حسا مرهفا ووجدانا ساميا ..

وكان حديثنا خلال زيارته لي عن الادب والشعر.. وحين سألته عن الحركة الادبية الحلبية في مطلع الثلاثينات ، قال :

« لقد كانت الحركة الادبية الحلبية في مطلع الثلاثينات حركة مباركة ، وقد كان في حلب أدباء شهيرون منهم المرحوم أمين هلال وخير الدين الاسدي والعلامة الكبير قسطاكي الحمصي صاحب كتاب « منهل الوراد في علم الانتقاض » وهو شاعر كبير ومحقق قدير ، وكان عضوا مؤسسا في المجمع العلمي العربي ، وكان صديقا حميما للشيخ ابراهيم اليازجي وكان بينهما مكاتبات نشرت في مجلة الضياء وفي كثير من المجلات الراقية التي كانت تصدر في مطلع هذا القرن ... والمرحوم سامي الكيالي صاحب مجلة « الحديث » الادبية التي أسسها عام ١٩٢٧ . أما الحركة الادبية اليوم في حلب فانها لا تدعو الى كثير من التفاؤل لان الادباء في حلب هم أدباء جيدون لكنهم مع الاسف متفرقون ، ولولا ان تجمعهم رابطة تسمى « اتحاد الكتاب العرب » لما استطعنا ان نجتمع في ندوة ادبية كبيرة » .

ودار الحديث عن حوليات الشاعر زهير بن أبي سلمى ، فقلت له : .. الا ترون بأن تلك الحوليات التي كان ينظمها الشاعر زهير بن أبي سلمى والتي كانت تعلق على الكعبة فيقرؤها الغادي والداني ... والتي يقال بأن الشاعر كان يبقيها عنده قبل نشرها سنة كاملة ، اليست هذه الطريقة تفقد القصيدة وقعها لبعدها عن المناسبة التي قيلت من أجلها ... ؟ فقال :

« لقد قلتم وأصبتم في ما قلتم ان هذه الطريقة لا تصح اليوم لاننا في عصر يسمونه عصر السرعة ، فلا بد للشاعر ان يقول الشعر في مناسبة ما لان الشاعر اذا أخر القصيدة شهرا أو شهرين أو سنة - كما كان يفعل ابن أبي سلمى - بعدت تلك المناسبة ولم تعد القصيدة تصلح لتلك المناسبة ، فالشاعر الحق هو الذي تعتلج الفكرة في ذهنه فيعبر عن مشاعره بقصيدة يقولها او ينظمها في فترة لا تتجاوز بضعة أيام ، وهذا ما يلجأ اليه كثير من الشعراء المعاصرين » .

قلت للاستاذ الحلاق : « في هذا العصر .. الذي نعيش فيه ، عصر السرعة .. العصر الذي اختلطت فيه الآداب كلها الشرقية والغربية الى جانب العربية .. وصار كل أديب يشتق ويقتبس ويطلع على كثير من انواع الادب ويصوغه في اسلوب جديد .. وأريد ان اخلص الى شعرائنا اليوم الذين يصوغون الشعر الحديث .. فما هو رأيكم بهذا الشعر ، وهل انتم من مؤيدي هذا الشعر ، أم من معارضيه ، ولماذا ؟ » .. فقال :

« أعتقد انه ليس هناك الشعر الحر أو الشعر الطلق او الشعر الحديث فاما أن يكون هناك شعر او لا يكون ، والشعر له قواعد وله أصول، ومن قواعد الشعر التفعيلة او عمود الشعر ، فاذا خرج الشعر عن عموده أصبح أشبه بالنثر منه الى الشعر.. فالشعر يحتاج اولا الى المعنى.. وثانيا الى الوزن .. وثالثا الى القافية .. فهذه الاركان الثلاثة هي الاركان التي تبنى عليها القصيدة او المقطوعة الشعرية . والمجددون الذين يحاولون أن ينظموا الشعر الحر الخالي من التفعيلة والبعيد عن القافية في رأيي انهم يسيؤون اساءة بالغة الى الشعر العربي والى الاصالة العربية .. فلقد جدد الاندلسيون الشعر العربي فاخترعوا الموشحات وجاؤوا بمعان جميلة رائعة مبتكرة ، ولكنهم لم يخرجوا عن عمود الشعر ، وكذلك فعل شعراء المهجر فنظموا الملاحم كما فعل فوزي المعلوف في ملحمته على بساط الريح التي ترجمت الى ثمان وعشرين لغة أجنبية وكذلك فعل اخوه شفيق المعلوف الذي نظم ملحمة عبقر وقد ترجمت الى الاسبانية والبرتغالية وكذلك فعل كثير من الشعراء المهجريين ، وفي طليعتهم ايليا أبو ماضي فجاؤوا بمعان جديدة فيها الجزالة وفيها الجدة وفيها الرقة وفيها الابداع ، ولكنهم لم يخرجوا عن عمود الشعر بل التزموا بالقوافي والتزموا بالتفعيلات ، فمن يخرج على هذه الاصول لا يعد في رأيي شاعرا ، وقد يجوز تسميته ناثرا لان الشعر كما قلت في بدء هذا الحديث يحتاج الى التفعيلة ويحتاج الى القافية ويحتاج الى المعنى الجيد السليم الرئع » .

ثم قلت للاديب الكبير .. هناك راي يقول : الشاعر الناشيء يجب ان يحفظ كثيرا .. ثم ينسى ما حفظ ثم ينظم الشعر من جديد ... هل انتم مع هذا الراي ام

---

(٥) من قصيدة بعنوان « طفل فلسطيني ثائر » القيت في مهرجان الشعر الدوري الرابع الذي أقيم عام ١٩٦٣ في جامعة حلب .

الى عابرة

ولما (مررنا) خلسة عبر ساحة
وفي الصدر أشيـاء اليك تـؤوب

جبست بأعماقـي النـداء .. لعلني
مـن الطيف أستجليك ، وهـو قريب

فرفرف في قلبي ، ولـوح ، تاركـا
على الدرب أشواقي ـ لديك ـ تذوب

وغنت لأعصابي الجـراح ، وساءلت
هل اليـوم في دربـي ، سواك حبيب

وأومات ـ في سري ـ اليك ، فلم أجد
سوى القفـر يلقاني ، فأيـن ألـوب

تأملت في عمـق السراب ، هنيهة ..
فكدت ـ على عمـق السراب ـ أشيب

وولول في قلبي السراب ، ومـا ونـى
يـروح ويغـدو بالكليـم .. جنوب

.. تمرين أنت اليوم ، للحب لفتـة
اليـك كأنـداء الربيـع .. تصوب

.. تمرين أنت اليـوم ، للخطو نقلـة
تـدف بأعماقـي ـ الغداة ـ غيـوب

دفنـت بأسـراري ، هـواك ، لأنني
مخافـة أن ترقـى اليـك ذنـوب

اذا قيل عنـي ، أنني الـود حافـظ
فذلك حسبي .. والحيـاة نـدوب

ولا تسأليني ، ما الجراح ومـا الأسى
فعنـدك أنت القلب .. وهـو يجيب

رويدك .. أخت الدرب فالصبح ذاهل
يراقب نقـل الخطـو .. كيف يغيب

وقفت بمنأى عـن مـداك ، كأنني
غريب ، بـلا مـأوى .. ولات غريـب

تغـور بأعماقي الشجون .. فأنثنـي
يراوح فـي الانحـاء منـك وجيب

دمشق
اسماعيل عامود

ترون الشعر ملكة شعرية أصيلة ؟ فقال :

« الشعر قبل كل شيء موهبـة .. ولكـن هـذه الموهبة تحتاج الى المعاناة .. تحتاج الـى دراسة الشعر القديم . وفي تراثنا العربي اشعار في منتهى الروعة والابداع لان الشعراء القدامى لم يتركوا بابا مـن أبواب الشعر الا طرقوه .. ولم يتركوا معنى رائعـا الا اصطادوه .. وفي ديوان المتنبي وديوان البحتري وديـوان أبـي تمام وفي دواوين كثير من فحول الشعراء نجد الابداع والابتكـار ونجد الملكة الشعرية مجسمة بابدع صورها والطف معانيها وازهى وجوهها .. فالمتنبي طرق أبواب الشعر ، فجـاء بالحكمة وجاء بالمديح وجاء بالرثـاء ووصف المواقـع والحروب وكذلك فعل كثير من الشعراء حتى أننا نـرى في الشعر الجاهلـي الحكمـة والفروسيـة والحماسة والوصف الاصيل ، وفي رأيي ان الشاعر يجب عليه قبل كل شيء أن يعود الى دواوين فحول الشعراء فيطلع على ما فيها من روائع القول ، ثـم يذكرهـا او يتناساهـا ، وليس هذا المهم ، ولكن المهم أن يطلع على ما جاؤوا بـه من فنون الادب ، ومن الروعة ومن متانة الحبك والسبك ، ثم عليه ان يصقل هذا القـول وان ينمـي ملكته الشعرية حتى يستطيع ان يأتي بأشعار تتصف بالروعة والجمـال والابـداع » .

ولو عدنا الى كل ما نشره الاستاذ الحلاق في مجلـة « الضاد » و « الكلمة » الحلبيتين ، وفي المجلات العربية الكثيرة ، وما القاه عبر الاذاعات .. لبلغ المجلدات الكبيرة الضخمة من بحوث ادبية ودواوين عديـدة مـن الشعر العربي الاصيل .

ان اديبا كأديبنا ، وشاعرا كشاعرنا ، يحق لـه ان يتبوأ المكانة اللائقة الرفيعة بين الادباء والشعراء في الوطن العربي لما يمتاز بـه مـن أسلوب سلس رصين متين ، وشاعرية صادقة وحس مرهف ، وان الاديب والشاعـر الاصيل يبقى ، وعمره يمتد عبر القرون ، لا بين العقـود القليلة ، لان التراث يخلد الاديب لا بجسده وانما بروحه ونتاجه الخلاق ، فالجسد بـال ومـا تصدره الكلمـة الصادقة هو الباقي .

دمشق ـ الجسر الابيض
حسان الكاتب

من مشهد لمسرحية فلسطين الذبيحة

أم موسى وام بسام يتساران معا

أم موسى :

هواجس ملء أضالعي على الظلماء تصطفق
تكاد تغص من شجن بها كبدي وتحترق
أهدهد دون ما أمل لواعجها وأختنق
هواجس ملؤها شجن وفيها الذعر والقلق

أم بسام :

وما يشجيك والظلماء عن فجر ستنبثق
وهب العرب للعلياء في الميدان تستبق
ففي (الاردن) أنصار لنا ان ضاقت الطرق
وفي (بغداد) عند الروع للأحرار منطلق
فحشو أديمها شرف ودون سمائها ألق
وفي (الفسطاط) أشبال تصول وفتية نزق
وما (الفيحاء) الا المجد والتاريخ يأتلق

أم موسى :

وهل في كثرة نفع بلا بذل واحسان
كثير المر لا يروي ولا يحلو لظمآن
ويحلو الري في نطف عذاب دون أدران
بنو الاعمام أصفار اذا وزنوا بميزان
كثير حين نحسبهم ولا شيء بميدان
اذا ما استنجدوا وجموا كأحجار وأوثان
وكم بالقدح أحجار تطالعنا بنيران
وشعب العرب أشتات بلا هدف كوسنان

أم بسام :

أأوصد دوننا الاحباب أبوابا وأسماعا
وما كانت قضيتنا أكاذيبا وأطماعا
قضيتنا هي التاريخ برهانا واشعاعا
وما التاريخ من عبث الهوى أو كان خداعا
وعى عبر الألى وحوى جليلا ، عرفه ضاعا
وصان أمانة سلفت وكان النصل والباعا

دمشق عدنان مردم بك

الشعر والشعراء في البصرة خلال القرن الثالث الهجري

بقلم احمد النجدي

* * *

يلاحظ المتتبع لما وضع من دراسات عن شعر القرن الثالث الهجري ، ان هذه الدراسات تعتمد شعر المشهورين المجيدين من شعراء ذلك القرن ، والذين لا يتجاوز عددهم اربعة او خمسة من الشعراء . وهي في هذا تنسى او تتناسى عددا كبيرا من الشعراء الذين لم تواتهم الفرص لنيل شهرة اولئك الاعلام .

وغير خفي ان وضع تاريخ ادبي دقيق لقرن ما يوجب دراسة نتاج ادباء ذلك القرن كافة دون الاقتصار على المشهور منهم . ومن ثم كان من الامانة العلمية لتاريخ الادب في القرن الثالث ان تدرس مجموعات اخرى من شعرائه اهملها او غفل عنها الدارسون . ومن هذه المجموعات طائفة من الشعراء البصريين كونت اشعارهم المادة الاساسية لهذا البحث الذي اشتمل على تمهيد وتسعة فصول .

تناولت في التمهيد دراسة الاحوال العامة للبصرة خلال القرن الثالث ، فتكلمت فيه بايجاز على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقلية ، تاركا التفصيلات الكثيرة مما لا علاقة له بالشعر واتجاهاته .

ولما كان الشعراء الذين اعتمدت اشعارهم مغمورين قديما وحديثا ، وجدت لزاما علي التعريف بهم والتطرق الى مراحل حياتهم المختلفة مما يفيد في فهم الاتجاهات التي نظموا فيها ، وقد استوعب هذا التعريف الفصلين الاول والثاني من البحث .

اما الفصل الثالث فقد درست فيه اتجاها شعريا جديدا ظهر في البصرة خلال ذلك القرن وهو شعر السخرية ، ولاحظت ان هذا الاتجاه يعتمد التصوير التهكمي الساخر في موضوعات مختلفة ، قاصدا من هذا مقاصد عديدة منها ما كان للتسلية والترفيه ، ومنها ما كان للنقد السياسي والاجتماعي . وهذه الانواع المختلفة من شعر السخرية تمثل صفحة مهمة وطريفة من صفحات ادبنا العربي القديم لم ينتبه اليها كثير من الدارسين .

وفي الفصل الرابع درست اتجاها جديدا آخر هو شعر الشكوى ، ولاحظت ان هذا الاتجاه بدا قويا واضحا في القرن الثالث نتيجة للظروف القاسية وضياع المقاييس الصحيحة في تقويم الافراد ، وهو في نوعيه الاساسيين : الشكوى الخاصة والشكوى العامة يقدم لنا صورا عديدة من صور الصراع بين الانسان والحياة نلمح في بعضها التمرد على القيم وبعض المعتقدات التي لا تتلاءم والرغبة الانسانية في تحقيق العدل . كما يبين لنا هذا الاتجاه مدى تُفاعل شعرنا القديم مع مشكلات الفرد والمجتمع بطبقاته كافة وعدم اقتصاره على معالجة امور القصور والملوك كما يدعي كثير من الدارسين .

اما في الفصل الخامس فقد درست ثلاثة اتجاهات تلتقي في تيار واحد هو تيار اللهو والمجون ، وهذه الاتجاهات هي : الخمريات والمجون والسخف . وقد لاحظت كثيرا من آثار الاحوال الاقتصادية والسياسية والعقلية في هذه الاتجاهات وخصوصا في شعر الخمر والمجون . اما شعر السخف فقد ظن كثير من دارسي الادب انه اتجاه جديد وجد في شعر القرن الرابع للهجرة ، وقد توصلت في هذه الدراسة الى انه وجد في البصرة خلال القرن الثالث بشكل متميز متكامل كان أساسا لما شاع لدى ابن الحجاج وطبقته في القرن الرابع .

وفي الفصل السادس درست شعر السياسة والعقيدة فرايت الى جانب الشعر السياسي المؤيد للسلطة العباسية شعرا آخر عبر عن معارضة سياسية اتخذت من الثورة العنيفة وسيلة لتحقيق غاياتها يتمثل فيما وصل الينا من اشعار لصاحب الزنج أبان فيها عن اسباب ثورته وطبيعتها وهاجم النظام العباسي هجوما مباشرا قل ان نجد له نظيرا في الشعر السياسي العباسي .

اما شعر العقيدة فلاحظت فيه تعبيرا عن بعض المسائل التي كثر جدال الفرق الاسلامية فيها الى جانب بعض الافكار التي تمثل الاعتقاد الساذج والتعصب المذهبي .

وفي الفصل السابع درست اتجاهات اخرى كان لها في الشعر البصري وجود قليل لا يشكل بمفرده فصلا خاصا به ، وهذه الاتجاهات هي : الزهد والاخوانيات والحكم .

ففي الزهد لاحظت نماذج من الشعر تمثل خطرات عامة في الحياة املتها قسوة الظروف كما يبدو ، زيادة على بعض الاشعار القليلة ذات الفلسفة الخاصة في الزهد ومما يمكن عده من أوائل شعر التصوف الاسلامي .

وفي شعر الاخوانيات موضوعات عديدة يمكن ان تعد جديدة في شعر ذلك القرن ولها دلالتها على تطور مهم في العلاقات الاجتماعية . وشبيه بها ما جاء من حكم ووصايا في الشعر يؤكد ناظموها الجانب الحسن من العلاقات

● بحث كتب باشراف الدكتور علي جواد الطاهر ، ونال به مؤلفه شهادة الماجستير بدرجة امتياز من كلية الاداب بجامعة بغداد ، وهذا ملخصه الذي القي امام لجنة المناقشة .

انتظار التي لا تجيء

أراها تعود مع الليل تشدو ...
باغنيــة غجريـة
وتصعد ، تصعد ...
تشهق في مخاوف صيف
اعود امزق كل الرسائل
وامشي وحيــدا
يفاجئني في المجاهل طيف
أعــود سريعــا ..
أنــام صريعا ..
وأبكـي ..
.. ويبكي معي ، قلب طفل ..

أضـيء المشاعــل
أبحث عن قلبها البكر بين الطحالب
وبين احمرار الشفق
أحملق في كــل شيء
تخلق بين الموات الكئيب
احلق في نسمات الفضاء الرحيب
تقصر اجنحتي ..
لا تواجه عنف السفر

اخوص ، وحتى العنق ...
في مياه التبعج والانتظار !
أنام ويساقط الزيت من جبهتي
فيحرق كل الورق ..

تعود سعاد مع الليل احلى
تغنــي ..
أمد يدي اليها ..
« اذوب اشتياقا .. »
« أذوب احتراقــا .. »
ويساقط الضوء من جبهتي
ويرتد للطين في حسرة ..
واغنية البدء تفتح بابي
ألملم كل حرابي ..
أعود سريعا ..
أنــام صريعا ..
وأبكـي ...
... ويبكي معي قلب طفل

الزقازيق ـ مصر — حسين علي محمد

الاجتماعية مما يمكن ان يكـون صدى لاضطراب المقاييس وفقدان العلاقات الحسنة في القرن الثالث .

اما الفصل الثامن فقد درست فيـه شعر الاغراض التقليدية من مدح وهجاء ورثاء وغــزل ووصف ، وقــد لاحظت الى جانب الاتجـــاه التقليدي في هـذه الاغـراض اتجاها جديدا يتمثل في ظهور موضوعات واساليب جديدة في هذه الاغراض التقليدية .

وفي الفصل التاسع درست الخصائص الفنية للشعر البصري ، وقد حاولت تبـين خصائص التقليد في هـذا الشعر كما تبدو في بناء القصيدة والالفاظ والاساليب ، ثم درست مظاهر الصنعة الشعرية متمثلة في الصور البديعية التي كانت من اهم اركـــان الصنعـــة الشعرية في العصر العباسي ، واعقبت هــــذا دراسة للجديـــد في الاوزان والقوافي .

هذا ما استطيع ان اقوله تلخيصا لهذا البحث الذي كلفني كثيرا من الجهد والعناء ، فمادته شعراء مغمورون ، ان ذكروا بأسمائهم فأسماؤهم تكاد تكون مجهولـة ، وان ذكروا بألقابهم وكناهم ازداد الامر غموضا . ولعـل الـذي خفف من العناء الذي لاقيته فيه ما اخذ يظهر خلال البحث من امور جديدة تضيف الى تاريخ الادب في القـرن الثالث شيئا جديدا وتصحح اوهام بعض الدارسين المحدثين .

ولا ادعي ندرة الخطأ والزلل في هـذا البحث فتلـك غاية لا تنال ، ولقد حاولت فيه ـ مخلصا ـ الاقتراب من الصواب ، فان وفقت لهذا فهو ما اردت وان لـم اوفـق فحسبي انني حاولت واجتهدت ، وقل من ابتعد عن الخطأ وادرك الصواب كله .

بغـداد — احمد النجدي



زكي قنصل

شعر الحنين والقومية عند زكي قنصل

بقلم يعقوب فرام منصور

* * *

من سمات الشعراء المهجريين عموما : حنين دافق الى الوطن والاهل ، وتوق عارم الى الاوبة الى مراتع الصبا ، ومرابع الخلان ، ومسارح الذكريات العبقة المنعشة ، شجينها وبهيجها ، المتصلة بالنشاة قبل مبارحة الديار ، والتياع الاغتراب حتى عند من حالفتهم الجدود ، وأفلحوا في الاعمال ، واحرزوا طائل الثروات في مهاجرهم ، وحس قومي عربي زاخر ، طغا على الشعور الوطني الاقليمي الضيق .

وثمة زمرة صالحة مباركة من هؤلاء الشعراء ، تمثلت في شعرها هاتان السمتان تمثيلا متميزا بارزا في رسم احوال النازح ، وشجون المغترب بتصوير بارع ، وايجاز جامع ، من ضمنهم الشاعر زكي قنصل الذي لو لم يرث ــ من غير وصية ! ــ لقب الشاعر الراحل الياس ابي شبكة ــ « شاعر غلواء » ــ لجاز في اعتقادي ان يطلق عليه « شاعر الحنين والقومية » .

الحنين والالتياع

افضل ما وقعت عليه في رسم احوال النازح وشجون المغترب وحنين المهاجر الى ترابه وآصرته ، قول زكي قنصل :

هاض الحنين جناحي وانطفا امل   كالفجر - اسقيه من قلبي ومن هدبي

ويح الغريب على الاشواك مضجعه   وخبزه من عجين الهم والنصب

يعيش عن ربعه بالجسم مغتربا   وقلبه وهواه غير مغترب

يستقبل الليل لا تغفو هواجسه   ويوقظ الفجر في جيش من الكرب

موزع الروح احساسا وعاطفة   مقسم الفكر في بعد وفي قرب

تقارن هذه الابيات بلمحات عن الاغتراب والحنين في شعر « القروي » كما نطالعها في بعض قصائده : « شكوى غريب » التي منها قوله :

ناء عن الاوطان يفصلني   عمن أحب البر والبحر

و « تحية مغترب » التي منها :

سلام الى حيث غادرت روحي   بلبنان سابحة هائمة

و « الغريب والشمس » التي منها :

ليتني أعلق يا ذات الضياء بحبالك

لتدوري بي آفاق السماء كهلالك

واراهم كل صبح ومساء من هنالك

و « انشودة الغريب » الشجية التي خاتمتها :

اياك يهوى الفؤاد   يا أمنا

من دون كل البلاد   انت المنى

هل يا ترى من معاد   يوما لنا

يا حسن يوم نؤوب   فينا السفن

نشتم قبل الغروب   ريح الوطن

كما تقارن ابيات زكي قنصل بلمحات خاطفة عن الاغتراب والحنين في شعر صيدح ، كما وردت في بعض قصائده ، منها « وداع الشام » اذ قال :

ولست أول ناء عن عشيرته   ولست اول سار غره قمر

يا مسقط الرأس والارحام تجمعنا   حاشا تغيرني في حبك الغير

أنسى يميني ولا أنساك يا وطنا   فيك ابتدا ــ ليته فيك انتهى ــ العمر

اوصيك بالروح ، رتبها متى انطلقت   الى ظلالك حيث النهر والشجر

حيث القباب على الاجداث حاضنة   امجاد جلق ، كي يبقى لها أثر

والغريب في ابداع زكي قنصل في رسم خلجات واطوار المغترب النازح عن الديار والتربة الغالية في ابياته التي استشهدت بها ، انه قد جاء استطراديا وهو في معرض ذكرى شيخ العروبة فارس الخوري ــ رحمه الله .

وهذه استغاثة عالية النبرة ، تردفها لفحة حارقة في معرض لا علاقة له بالتغرب والنزوح :

رباه شط على الغريب مزاره   فمتى ترق لدمعه السحاح

في القلب شوق لا يقر قراره   ما حيلتي بلهيبه اللفاح

عللته بغد ، فزاد أواره   وزجرته فافتن في الالحاح

ذهب الصبا الا بقايا نضرة   في القلب ، فارحمني بفك سراحي

واخيرا هذا النشيد المنبعث من كنارة ، صيغت اوتارها من معدن الحشاشة المتأججة ، وداعبتها أنامل الاخلاص المتفننة :

يا بلادا نزحت عنها وقلبي   حائم في ربوعها دوار

يشهد الله لم افارق مغانيك   اختيارا ، لكنها الاقدار

عصفت ريحها فاقفر عيش   وخلت أيكة وتاه هزار

انت رؤياي في منامي ونجواي   اذا أرقتني الاكدار

فاذكريني اذا قضيت غريبا   رب ميت يهزه التذكار

الشعور القومي

حب العروبة مكين في جنان هذا الشاعر كأغلب أفراد

سري

تقول لذاتي ، والأسى مالك امري
متى تشتفي من لاعج شب في الصدر
يروعنا هذا الذهول واننا
على خير ما نلقاك في غمرة الفكر
ويا ليت ما أطوي تبدى وليتني
ذهلت فلم ادر الذي مر من عمري
لقد مر بي ما لو تفرق بعضه
على جمعهم لازداد في رأيهم قدري
وقد مر بي ركب من الدهر حافل
فما راعني عسري ولا هزني يسري
وكنت اذا ضاقت سبيلي وجاوزت
مكاني حقوق لا أسلم للدهر
وصنت من الايام والدهر عزتي
فما نالت الايام الا من العمر
فلا خير في خير يذل كرامتي
وفيم ، وكل الخير للدود في القبر
وخلف لي التجريب دنيا من الحجا
عليها أنا ذو النهى وحدي وذو الامر
فأعلم سر الدهر ان كان غايتي
واعلم سر الغير ما غاب في الصدر
واقرأ همس العين في غيهب الدجى
واسمع صمت الثغر ان ضاق بالجهر
وابدو كما ظنوا شريدا محيرا
وذلك من سري وقد لذ لي سري

القاهرة **احمد عبد المجيد**

سربه المهاجر : من مبرزين وسابقين ، ومن محاكين ولاحقين ، وهذا مقطع من نشيده في لوائها :

لواء العروبة يا ابن الخلود   حفيفك أحلى أغاني الوجود
نثرنا عليك الجفون ورود   وطرنا اليك وراء الحدود
نعيد للبعث عبر الزمن   ونرقص في مهرجان الوطن

ومثل هذا الحب نلمحه في لامية فرحات التي منها قوله « انا وان تكن الشام ديارنا ـ فقلوبنا للعرب بالاجمال » ويطالعنا في داليته التي منها قوله : « هذي الدويلات المبعثرة القوى ـ عمد يقوم بهن بيت واحد » .

وقد خص فلسطين السليبة بثلاثة مقاطع من هذا النشيد المتدفق حماسة ، فهذه الفلذة من كبد الوطن العربي الطعين ، نجد لها مكانة بارزة في شعر هذا الشاعر كقولـه :

كيف التغني ونفس كلها الم   يا للهزار قضى في زوره النغم
شدوي على مسرح الاحداث دمدمة   وبسمتي في مآسي امتي غسم
لولا فلسطين كانت ظلمتي القا   وكان بردا على أضلاعي الضرم
اني لاحمل في قلبي لواعجها   اليس يجمعنا الايمان والرحم
ما دام عرضي للشذاذ ممسحة   فليس لي بين اعلام الورى علم

وهذه المكانة البارزة نجدها عند نصر سمعان القائل : « يا لفلسطين قدستك الضحايا ـ وكساك الخلود سنى بروده » وعند حسني غراب المتفائل : « صبرا فلسطين وارقبي فرجا ـ لا بد من عجب يأتي به رجب » وعند القروي المتسائل : « أبعد فلسطين يناح على فتى ـ وهل بقيت في مقلة دمعة بعد ؟ »

والذين يتبادلون التهاني والانخاب في الاعياد والمناسبات ، خاطبهم زكي قنصل قائلا :

دنيا العروبة غرقى في مآتمها   فكيف أجرح سمعها بأنغامي
يا ناعم البال لا تشمت بنكبتها   ولا تكن طعنة في جرحها الدامي
ووحدة الوطن الدامي ممزقة   على مخالب أحزاب واحزام
يا حائمين على أشلاء امتكم   ماذا تركتم لسرحان وضرغام
هذي فلسطين في الاغلال راسفة   ينوشها السوط من خلف وقدام

وهذه الابيات قمينة ان تحل محل عبارات التهنئة المطبوعة على البطاقات التي يتبادلها العرب في الاعياد والمناسبات ، وثمة أبيات للقروي تصلح كذلك أن تؤدي ذات الغرض ، من نونيته الشهيرة ، منها :

يهنيء بعضكم بعضا واني   اهنيء النفس اني لا اهني
أأرضى والرسول قتيل غيظ   وافرح والمسيح شهيد حزن
وعيد هائل سمعته روحي   ولولا لفظكم سمعته اذني

ثم يتصبر زكي ويصبر ، بين يائس وآمل :

صبرا فلسطين فالدنيا مداولة   والفجر يطلع من ديجوره العامي
ان لم يرفرف لواء الحق ثانية   على رباك فلن تنجو ربى الشام

والبيت الاخير رصد دقيق لمآتي الاحداث ، وهو يحاكي التنبوء الذي يمتاز به الشعراء العظام ، وفحواه حقيقة وقعت بعد انصرام ستة عشر عاما على تاريخ نظمه .

ولا أجد ، ختاما لبحثي في القائل : « لا يستحق بلاده عدنا ـ من لا يحب بلاده خربا » ، افضل من انهائه بأبياته الثلاث التي نحتاج الى العمل بمقتضاها كثيرا :

يا بني امي استعدوا لغد   عدة العيش كفاح وامل
أخيب الناس تقي خامل   ...... ويرضى بالكسل
لم يفز خصمكم لو لم يكن   سعيه جدا ومسعاكم هزل

هذا غيض من فيض جاد به معين هذا الشاعر سلسبيلا من حنين وشعور قومي دفاق . فللظامئين الى مزيد من هذا المورد العذب أن ينهلوا من حوضه « نور ونار » .

بغداد **يعقوب فرام منصور**



عبد الرحمن شلش

الـروايـة الـعلمية

بقلم عبد الرحمن شلش

***

في الآداب العالمية الحديثة

ما اكثر الانواع المتباينة في الآداب العالمية الحديثة من فن الرواية مثل : الرواية التاريخية ، والراوية التحليلية ، والرواية الاجتماعية ، والرواية العلمية ، وغير ذلك من انواع الرواية .

وتعتبر الرواية العلمية نوعا جديدا من انواع الرواية ، وقد شاعت في الآداب العالمية الحديثة منذ ذلك التقدم الهائل الذي احرزته اوروبا في شتى مجالات العلوم في القرن الفائت ، مما جعل الاختراعات العامية العصرية تشق طريقها الى حياة كثير من الامم والشعوب.

والرواية العلمية تختلف عن الانواع الروائية الاخرى ، ويتمثل هذا الاختلاف في المضمون ، ذلك ان الانواع الروائية الاخرى تعالج موضوعات تاريخية او اجتماعية ، بيمنا الرواية العلمية تتناول موضوعات علمية، فهي تدور حول العلوم ومنجزاتها واكتشافاتها ومخترعاتها في العصر الحديث ، وقد جاءت متأثرة بالعلم ، لهذا فهي تمزج بين عطاء العلم من تجارب وابحاث ونتائج ، وبين عطاء الخيال المحلق الى أوسع الآفاق .

ومن أهم عوامل رواج الروايات والقصص العلمية في هذه الآداب الحديثة ، ازدهار وسائل الاعلام المختلفة، ويأتي في طليعتها الصحف والمجلات التي أفسحت المجال امام نشر هذا الابداع الفني الذي يدور حول العلم كمادة تجذب اهتمام معظم القراء .

ولعل هناك كثيرا من الرواد الذين مارسوا كتابة الرواية والقصة العلمية ، ونذكر منهم : ويلز ، وجول فيرن ، وهكسلي ، وبيير بنوا ، ورايدر هاجارد ، وغيرهم ممن ساهموا بدور كبير في اثراء حقل الرواية العلمية بما لهم من أعمال اضافت جديدا الى الفن الروائي .

والرواية العلمية الآن اصبحت تنافس شقيقتها الكبرى : الرواية الفنية في عصرنا هذا .. عصر انتشار الكلمة وذيوعها .

في أدبنا العربي

واذا كنا قد قدمنا ـ في ايجاز ـ لمحات عابرة عن نشأة الرواية العلمية في الآداب العالمية الحديثة ، فانه يجدر بنا ان نشير الى موقع الرواية العلمية على خريطة ادبنا العربي الحديث والمعاصر .

والواقع ان ادبنا العربي لم يعرف الفن الروائي الا حديثا ، ولئن كان ادبنا حديث العهد بفن الرواية الذي لم يقف مع الرواية العالمية الا بعد طلوع فجر هذا القرن الذي نعيش في ثلثه الاخير ، فاننا نجد ان ما كتب تحت اسم الرواية العلمية يعد قليلا جدا بالقياس الى العدد الضخم للرواية الفنية .

فالملاحظ عندما نبحث في تاريخنا الادبي الحديث والمعاصر ، اننا نجد الرواية العلمية لم تأخذ نصيبها في النتاج الروائي للاجيال المتعاقبة من الروائيين العرب .

ولعلنا نتساءل : ما هي الاسباب ؟.. وفي رأيي ، ان اهم أسباب تأخر ظهور الرواية العلمية في ادبنا العربي الحديث والمعاصر ، ترجع الى المجتمع العربي كان حتى الخمسينات مجتمعا زراعيا يعتمد على الزراعة في المحل الاول ، وقد ظل طويلا لا يعتمد على الصناعة الا بعد النهضة العلمية التي نشهدها منذ سنوات ليست بالكثيرة . وبالتالي ظل النتاج الادبي ، ولا سيما الروائي والقصصي ، متأثرا بما كان دائرا في كافة مجالات الحياة في الاقطار العربية .

ويضاف الى ذلك ، ان انظمة التعليم بمراحله المختلفة لم تكن تساير ركب التطور ، فكان التعليم متخلفا عن اداء دوره في النهوض بالمجتمع العربي لملاحقة قافلة التقدم العلمي ، الامر الذي نتج عنه ـ بالضرورة ـ تأخر نهضتنا العربية في مجال العلوم حتى النصف الثاني من هذا القرن .

ثم يأتي دور الاشارة الى قلة امكانات وسائل الاعلام من صحف ومجلات واذاعة وغيرها ، فظلت هذه الوسائل محدودة امام انتشار الكلمة المطبوعة والمذاعة .

لكل هذه الاسباب التي ذكرناها ، ولغيرها ، كان

الجبان

قلب الجبان ، ولا ملامه — بـاع المروءة بالسلامه
خفض الجبين على الهوان — فبات مرذول الكرامه
جحد الشجاعة، واستطاب — الذل ، واجتنب الشهامه
لا هزه دمه واي دم — ولا دمع اقامه
يعنو اذا جد الرحيل — وان توثقت الاقامه
ويرى لك الامر المطاع — اذا ابحت له طعامه
لا تسألن عن الجبان — اذا نضا ، يوما ، حسامه
الفهد كاد من السآمة — يستثير به ضرامه
عل اليد الزهراء تنفض — عن مهنده السآمه
عل الجبان يزلزل — الدنيا اذا خفرت ذمامه
لكن ، ويا للذلة — الخرساء تحجبها ابتسامه
يا للمروءات الذبائح — لم تثر .. حتى كلامه
يا للعدالة تستباح — فلا تحركه ظلامه
لا تسألن اذا الجبان — نضا ، على شمم ، حسامه
عاش الجبان على الضلال — وما تلا فعل الندامه
ما هم ؟ هام بالانحراف — او استبته الاستقامه
ما هم ؟ سار امام دنياه — ام الدنيا امامه
ما هم ؟ تغصبه الحلال — اما تركت له حرامه
افلا ترى الخذلان دنس — منه وجدانا وهامه
يطا الطغاة جبينه — فيرى على النعل احترامه
لا تسألن اذا الجبان — نضا ، على شمم ، حسامه
الذل ارمض قلبه — فرمى ، بلا ندم ، سهامه
فلتنتحر كل المروءات — التي اورث هيامه
ايلام من باع المروءة — والكرامة بالسلامه
لمه ، الى يوم القيامه — لن تقوم له قيامه

فوزي عطوي

طبيعيا ان يتأخر ظهور الرواية العلمية في الادب العربي .

محاولات قليلة واعدة

وكان طبيعيا ، كذلك ، ان المحاولات في كتابة الرواية العلمية في ادبنا هي محاولات قليلة جدا كما اسلفنا القول .

ففي السنوات الاخيرة الماضية بدأت تظهر محاولات طيبة وواعدة ومبشرة لبعض روائيينا في ميدان الرواية العلمية ، وذلك بعد ان شهدت مجتمعاتنا العربية تطورات هائلة في سائر جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ومن هذه المحاولات القليلة الواعدة في مجال الرواية العلمية ، رواية « الدوامة » للروائي المصري غبريال وهبة ، وهناك رواية اخرى بعنوان « قاهر الزمن » لروائي مصري آخر ، هو نهاد شريف . ولست هنا بصدد عرض وتحليل هاتين الروايتين .

ولا استطيع ان انكر ان هناك اعمالا روائية اخرى لكتاب آخرين من روائيينا العرب ، تدور حول العلم باكتشافاته ومخترعاته ، لكنها اعمال قليلة ومعدودة .

وفي ختام هذا المقال ، اتمنى للرواية العلمية الازدهار في ادبنا العربي المعاصر .

القاهرة — عبد الرحمن شلش

رغبة في الانتحار

بقلم جمعه محمد جمعه

قصة

اخرج هويته .. نظر الى الصورة.. حملق فيها برهة .. مزقها كما مزق الهوية .. صادفته اول سلة مهملات معلقة على عامود الانارة .. القى بما في قبضة يده وتنهد في ارتياح .. لقد مزق الدليل على شخصيته .. الآن صار بلا هوية.. وبعدها .. يمكنه ان ينطلق الى عالم آخر .. لن يعرفه احد .. لن يتوصل الى شخصيته أحد .. شعر بأن الناس ينظرون اليه محدقين .. كأنهم قد فطنوا بغرائزهم الجامحة لما دبره في نفسه .. لكن .. ما شأنهم به .. انه الآن حر من أي قيد .. حر من اسمه .. وتاريخ ومحل ميلاده .. وعنوانه .. حر من الارقام الرقم ١٢٦٩٥ سجل مدني مصر الجديدة .. حر من ١٥ ـ ٨ ـ ١٩٤٠ التاريخ الذي ولد فيه .. هل يحفظ الناس مثله هذه الارقام .. أجل .. فلكل واحد ارقامه الخاصة .. يحفظها عن ظهر قلب .. سلة مهملات اخرى تنظر اليه غاضبة .. حتما عليه ان يلقي فيها بعضا من حاجياته وما ملكت يداه .. عبث بجيوبه .. ثمة تذكرة اتوبيس .. مزقها والقى بها في احضان السلة.. ثم تركها وراءه واستمر في السير..

قالت أمه ذات يوم وهو في الخامسة من عمره .. عندما التحق بدار الحضانة « يا بني .. اذا ضللت الطريق .. فاطلب من أي شرطي تلقاه ان يعود بك الى العنوان ٣٥ شارع الاحرار ... » ..

ولد وتربى وترعرع في شارع الاحرار .. كان الشارع واسعا .. بدأ يضيق يوما بعد يوم .. وعاما بعد عام .. واخيرا شعر بالشارع وقد تحول الى حارة ضيقة .. يطلق عليها ـ مجازا ـ شارع الاحرار ..

سلة مهملات اخرى تعترض طريقه .. وقد انتفخت حتى سدت امامه الطوار كله .. فتش في جيوبه .. آه .. تذكرة سينما رمسيس .. فقد خرج منها منذ قليل .. كان يبغي مشاهدة فيلم يذهب بالاكتئاب الذي لازمه طوال الاشهر المنصرمة ـ وما زال ـ لكنه خرج من السينما اكثر اكتئابا .. نظر الى التذكرة .. ثم مزقها والقى بها في قلب السلة .. فعادت وانكمشت وتنحت عن الطريق .. ماذا بعد في جيوبه .. او في حوزته .. فالسلال تطالبه بجواز المرور.. على طول الشارع .. عثر ببضع اوراق اخرى فاعدها ليلقي بكل منها في سلة .

قالت الفتاة التي صارت زوجة له بعد ذلك :

ـ أراك تنعطف في شارع الاحرار .. هل تقطن هناك ؟

ـ أقطن ..

واردف ضاحكا :

ـ لقد ولدت .. ونشأت ، وترعرعت فوق ترابه .. تنسمت هواءه وعبيره .. عشت اسعد طفولة واجمل صبوة .. تسكن في اعماقي ذكريات جمة عن حياتي في هذا الشارع ..

ـ شوقتني لذكرياتك ..

لم يعد الشارع محببا الى نفسه .. لكن ما باليد حيلة .. تزوج وعاش في بيت أسرته .. وكان سعيدا مع زوجته .. توجه الى احد المارة متسائلا :

ـ هل يفضي هذا الشارع الى الكورنيش ؟

ـ بالتأكيد .. ستصطدم في النهاية بسور الكورنيش ..

مرق من بين قدميه كلب هزيل يجري ويلهث .. ولسانه يطل ويختفي .. المارة يفسحون له الطريق .. ويصطفون على الجانبين خشية ان يلمسهم ..

عاد يردد لنفسه ما قاله الرجل .. « ستصطدم في النهاية بسور الكورنيش » لماذا لم يقل « ستلقي نفسك في الكورنيش » .. او .. « ستجد امامك سور الكورنيش » او « يفضي بك الى ... » .. لماذا قال لفظة الصدمة هذه ..؟ هل يعرف الرجل عنه شيئا ..؟ .. هل يبشره بصدمة اخرى .. انه يعرف ان الشارع يفضي الى الكورنيش.. لماذا اذن سأل ؟.. كاد يصطدم بامراة تسرع فوق الطوار وهو في دوامة تأنيب للنفس .. صاحت في وجهه غاضبة :

ـ هل اصبت بالعمى ؟

ـ ليتني كذلك ..

قالها وفكر في معناها .. ماذا لو كان أعمى ؟.. ما كان رأى شيئا على الاطلاق .. لكن لا بأس .. فليجرب .. واغلق عينيه .. ظن انه لن يرى شيئا .. ابطأت خطواته تتلمس الطريق .. لكن الطريق واضح امام عينيه .. الزحام على أشده امام محطة الاتوبيس .. المتعبون .. والمكدودون اسيري لقمة العيش يتسكعون رغما عنهم في انتظار الاتوبيس .. يرمقون السيارات الخاصة الفارهة الانيقة الشاغرة بحسد وحقد وغضب وثورة في الاعماق ..

دوت في اذنيه كلمات زوجته :

ـ ماذا حدث ؟.. زميل اوصلني بسيارته .. جريمة .. رآني في انتظار الاتوبيس فتكرم مشكورا بتوصيلي ..

ـ هل معها حق ؟.. لماذا تتسكع مرغمة مع المتسكعين .. ما دام في امكانها ان تصل للبيت بأي وسيلة اخرى .. المهم ان تصل ..

كم هو جميل ان يسير المرء مغمض العينين !! فلن يرى شيئا .. ولكن كيف يتخلص مما رآه .. وسكن مرآته .. كيف يتخلص من ذلك المشهد الهزلي اللعين .. يوم دس المفتاح في باب الشقة .. زمجر المفتاح وابى ان يلف لفاته المعتادة.. ظل يعالج زمجرته بالحنو والهدوء.. لكنه ابى ان يلف ويفتح الباب .. استدار خلفه واطل براسه من فوق « طرابزين » السلم .. كان صوت زوجته قد صعد اليه .. يعرف ان في حقيبتها مفتاح آخر .. انصت لصوتها الحاني وهو يرمق الباب بنظرات غاضبة :

ـ تعالى يا حمدي .. سأعرفك بزوجي ريثما يعود ..

ـ لا يا نوسة .. ليس الان .. سأنتظرك بعد الظهر ..

ـ بالتأكيد ..

كاد ينادي صائحا :

ـ تفضل يا استاذ حمدي ..

لكن الكلمة لا يدري كيف خرجت على هذا النحو :

ـ اصعدي يا قذرة يا فاجرة ..

تدحرج الزميل فوق الدرجات القلائل التي صعدها .. مسرعا يبغي الفرار وتطلعت هي الى اعلى بوجه مصفر .. ملطخ شفتاه بالدنس .. هرول وساعدها على صعود الدرج مجرجرا اياها فوق الدرجات .. دفعها الى داخل الشقة بكل ما أوتى من قوة صارخا في تهكم مرير .. :

ـ لا شيء يحدث .. زميل يناديك باسم الدلع .. اوصلك بسيارته .. جريمة .. من قال انها جريمة ؟..

بوق السيارات يصم اذنيه .. انه في عرض الطريق .. والمارة يصرخون :

ـ حاسب ..

ـ قف مكانك ..

ـ لا تتحرك ..

لكنه يندفع غير آبه لشيء .. لا ابواق السيارات .. ولا اصوات التحذير .. جذبه احد المارة من ذراعه ودفعه امامه الى الطوار .. قال له في ثورة غضب والمارة يحيطون بهما :



جمعه محمد جمعه

●

ـ يا اخي ستقتل نفسك ..

ثم عاد الرجل وقال متأسفا :

ـ آسف يا اخي .. ظننتك مبصرا .. اليس لك احد من ذويك يقودك في مثل هذه الطرق الخطرة.

هز الرجل يديه يائسا قائلا وهو ينصرف :

ـ مسكين .. يبدو انه اخرس، واعمى ، واصم ..

اخذ المجتمعون في الانصراف .. ما عدا واحدا قال في عطف ورثاء :

ـ أين تريد الذهاب ؟

ـ أين نحن الان ..؟

ـ في ميدان الشهيد ..

ـ آه .. تذكرت.. شكرا لك..

هدأ كل شيء وسكن .. فتح عينيه .. أخذ يرقب حركة المرور في الميدان .. الترام .. الاتوبيسات .. السيارات .. كل شيء في سباق مع الزمن .. مر كلب هزيل من امامه .. ـ تذكر ـ انه نفس الكلب الذي رآه .. كان مثله جادا يجري ويلهث وقد سبقه .. وقفز من فوق الطوار مسرعا .. متوسدا مكانا راقه وسط قضيبي شريط الترام .. الترام يقترب .. وصليل الجرس مستمر في التنبيه .. لكن الكلب غير آبه لشيء .. اوقف السائق الترام .. وغادره .. دفع الكلب بقدمه .. لكنه لم يتحرك .. ازاحه بكلتا قدميه وكأنه قد سمر في الارض .. رفعه بين ذراعيه والقى به بعيدا .. ثم عاد وتحرك الترام.. افاق الكلب من سقطته .. وعاد الى نفس مكانه بين القضيبين .. واستقر ..

استمر ينظر الى الكلب محدثا نفسه :

ـ هل ضاق هو ايضا بحياته؟.. هل مزق هويته .. هل قرر في نفسه امرا ؟.. هل ضاق صدره بالكلاب ؟..

شعر برغبة عارمة في ان يأخذ الكلب بين احضانه .. ويقبله .. ضاربا .. ومرة اخرى اوقف الكلب حركة الترام .. وتجمهر الركاب وبدا الكلب وكأنه « مسعور » .. يدافع عن مكانه فوق الارض بشراسة .. وسط ميدان الشهيد صاح من مكانه :

ـ ماذا تريدون منه .. دعوه يفعل ما يشاء ..

موت الشاعر

الى روح عبد الله الطائي

ما للعذارى فوق وادي العقيق   قد بدلت الحانها بالشهيق
وملهمات الشعر ما بالها   تجهش في صمت السكون العميق
قد بدلت الحانها فجاة   وغيرت مسرى الخطى في الطريق
كانت تغني في ليالي الهوى   جذلى ومن سكر الصبا لا تفيق
فجاءها صوت يدوي من الآفاق   مبحوح كصوت الغريق
.. ففي (ابو ظبي) قضى شاعر   من (عبقر) غنى بلحن الشروق
موج الخليج الطلق من شدوه   يداعب المرجان فيه العقيق
وموئل الاحلام من وحيه   يؤرج الدنيا بمسك فتيق
امات من غنى ليالي الهوى   في الفجر باللحن الشجي الطليق
ارسل قبل النزع لي نفثة   يشرح لي فيها وداد الشفيق
كانه والموت كانا على   الميعاد من بعد الكتاب الانيق
قد سار من غير وداع وما   يفعل هذا بالصديق الصديق
يا للرزايا . لا تعي فعلها   كخبط عشواء بليل سحيق
تسحق من تلقاه في دربها   طاحونة تقذف بالمنجنيق
ناتي الى الدنيا ولا تنتهي   احلامنا الا بذاك المضيق
والدهر يمضي جاهدا والرحى   في دوران من زمان عتيق
اذا مضى منا فريق أتى   من بعد ميلاد جديد فريق
والارض نشوى بدمانا وما   في جوفها غير النجيع اللصيق
لو يدرك الاعمى بوجدانه   سر النهى ، ما ضل ذاك الطريق

البحرين   احمد محمد الخليفة

صاح أحدهم مغتاظا :

ـ أهو كلبك ؟

ـ كلا .. كلا ثم كلا ..

قال احدهم محذرا :

ـ لقد صار الكلب خطرا .. حذار ان يلمسه احد والا هجم عليه .. ابلغوا جمعية الرفق بالحيوان..

قال في نفسه وهو يشهد الميدان وقد اكتظ بالزحام .. الكل يشهد واقعة الكلب في ضحك وسخرية :

ـ الرفق بالحيوان .. الرفق بالحيوان ..

وازداد فاه اتساعا في ضحك جنوني .. وهو يضرب كفا بكف .. ويردد بصوت مرتفع لفت اليه الانظار :

ـ الرفق بالحيوان .. الرفق بالحيوان ..

توقف عن الضحك واخذ يحدق في بلاهة .. عربة بيضاء فارهة تقف امامه .. صنعت حائلا بينه وبين الكلب .. كستار اسدل ومنع رؤية المتفرجين للممثلين .. لكنه رغب في رؤية ما يحدث وراء الكواليس .. فأسرع يمنة حتى يتمكن من التطلع خلف الكواليس.. حاول رجال الجمعية اصطياد الكلب بشباكهم .. لكنهم لم يفلحوا .. فقد كان الكلب ذكيا وماهرا في الافلات منهم .. مهما احاطوه بشباكهم .. اخيرا بعد مجهود عنيف لم يجد فتيلا مع اصرار الكلب .. اسرع احدهم الى العربة وتناول بندقية وعاد داعيا الجمهور بصوت جهوري بالابتعاد .. ثم صوبها الى الكلب وارداه قتيلا برصاصة واحدة .. رفعوه سريعا والقوا به داخل العربة ..

ظل واقفا حتى خلا الميدان .. وعادت الحياة الى صخبها وضجيجها .. المارة .. السيارات .. الترام .. العربات .. نظر امامه عبر الميدان .. الكورنيش قريب جدا منه .. مسيرة خمس دقائق او اقل .. استدار ونظر الى امتداد الشارع اللانهائي الذي جاء منه .. انطلق مسرعا عائدا الى حيث كانت البداية وهو يردد كببغاء .. :

ـ كان الكلب يعرف طريقه .. اما أنا .. فسأدعي انني ضللت الطريق .

القاهرة   جمعه محمد جمعه

السطور المنسوجة بالعطر

●

نــوال يونــان

●

ومــر اسبــوع
حسبته الدهر ، عبر ايامي
واستعرضت نهره فكانت قاحلة عفراء
وسلسلت لياليه ، فكانت موحشة ظلماء
فلا من رفيق يشيح الضباب عن سمائي
ولا من مؤذن يهدىء قلق نفسي
ولقد اعتدت عليك
فلم اعد اطيق على الفراق صبرا
والوردة الحمراء المنمقة المطرزة باحلى المواعيد
ما عادت تعطيني ما كانت تعطينا ..
فهي كمثل نفسي ملت الظهور
وسئمت الانتظــار
رغم ما انثره فوق اوراقها من الحنان والتلهف
وتقيها عيناي شمس الظهيرة ، وبرد المساء
وعدت اليك لاتلو مراسيم الحب
فيما خطت اناقة نفسك ، ورقة انفاسك
فوجدتك بين الحروف تبثني الشوق
وتزفني الوجد ، فتنثرني حنينا
ويتراءى وجهك بين الحين والحين
من بين السطور المنسوجة بالعطر ، والضوء
فتبسم لي ، وتبتسم الدنيا
ويعود الامل يهمس في مسمعي قصص المواسم ،
وحكايات القطاف
ويزرع في قلبي ضوع البنفسج ، واناقة الزنابق
بعدما راع مرآتي شحوب الوجه، وكسل الاجفان
وانا اعد الايام بثوانيها ، واحثها على الاسراع
وهي تغفو على نفسها لتتلذذ بمعاناة نفسي
وتتمطى بكبرياء المنتصر على الآلام الانسانية
ويا صديقي ، بي حنين صارخ الى سماع صوتك
الى رؤية بيتك ولو من بعيد
الى كل من يلوذ بك
وبي حنين الى ومض عينيك
الى ابتسامتك
الى الآمال التي كنت تغذي بها روحي ونفسي
بــي حنين اليــك
فعد قبل ان يلون الخريف اوراق ربيعي
عد ، قبل ان يرشف الجفاف ينابيع ذاتي
فيذبلني الانتظــار ...

مكتبة الاديب

اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري

تأليف الدكتور محمد مصطفى هدارة ـ (؟) صفحة ـ الطبعة الثانية ـ منشورات دار المعارف بمصر

في تاريخ الشعر العربي فترات ثرة بشعرائها وموضوعات شعرهم واتجاهاته المختلفة ، والقرن الثاني الهجري من أخصب تلك الفترات واثراها ، فقد كان بحق مصبا ومنبعا في آن واحد لعديد من اتجاهات الشعر التي تعهدها الدكتور هدارة بهذه الدراسة القيمة التي رصد فيها رصدا محكما الاتجاهات التي كانت سائدة قبل القرن الثاني ، والتي دخلها شيء من التطور بفعل عوامل متعددة ، فحق عليها اسم « الاتجاهات المجددة » . اما الاتجاهات « الجديدة » فكشف عن الاسباب والمؤثرات التي أثرت فيها ، وبين اقسامها ، وعرض لشعرائها.

ليس بامكان باحث واحد ان يلم بالشعر واتجاهاته وشعرائه الماما كاملا في القرن الثاني خاصة او في غيره ، فعلى الرغم من ان هذا الكتاب قد شق الطريق الى دراسة هذه الفترة ، وعلى الرغم مما كتب عنها في مؤلفات اخرى وفي بيئات مختلفة (١) ، فثمة ابحاث اكاديمية اخرى قصرها أصحابها على جوانب منها ، فضلا عما نجده في الكتب المؤلفة في تاريخ الادب عامة ، وعن الدراسات والبحوث التي خصصت لعدد من شعرائها مشهوريهم ومغموريهم .

لهذا الكتاب اهمية خاصة ومزايا متعددة ، لا جرم في ان الباحثين قد افادوا منها ، واعترف بأنني قد أفدت من الكتاب فائدة كبيرة ، فكان كما وصفته في مقدمة كتابي (٢) « اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري » واحدا من المراجع التي كانت لي بمثابة منائر على الطريق.

لقد فكرت في الكتابة عن هذا الكتاب في طبعته الاولى ، لكنني لم افعل . فما ان صدرت الطبعة الثانية ولم يحدث فيها المؤلف أي تغيير، سوى استدراك بعض الاخطاء المطبعية في الطبعة السابقة فيما يقول ، وجدتني مدفوعا للكتابة هذه المرة ، لما للكتاب ولمؤلفه الذي لم اعرفه الا عن طريق كتابه هذا وكتبه وأبحاثه وتحقيقاته الاخرى ، من منزلة كبيرة عندي . ولست اراني في حاجة الى ان أعرض لموضوعات الكتاب او اتحدث عنها ، انما يهمني هنا بدافع حرصي على الكتاب وتقديري لمؤلفه ان اضع بين يديه الملاحظات القليلة التالية التي لا اهدف من ورائها سوى ان يقترب الكتاب من الكمال الذي ينشده له مؤلفه :

١ ـ في الحديث عن الثورة على مقدمات القصائد ، يقول المؤلف في خلال عرضه ومناقشته لآراء المرحوم الدكتور محمد مندور في ثورة ابي نواس : « ولعل اول من ذهب هذا المذهب مطيع بن اياس ، فقد ذكر له صاحب الاغاني قوله » :

لاحسن من بيد يحار بها القطا
ومن جبلي طي ووصفكما سلعا
تلاحظ عيني عاشقين كلاهما
له مقلة في وجه صاحبه ترعى

وقد دفعه هذا الى ان يستنتج السبب الذي عد من أجله المستشرق الانكليزي نكليسون مطيع بن اياس من اوائل المجددين (ص ١٥١) .

لكن مما يؤسف له ان البيتين السابقين ليسا لمطيع بن اياس ، بل هما لرجل كوفي ينسب الى « الصبوة » . روى ابو الفرج الاصفهاني عن محمد بن الفضل : « قال مطيع بن اياس : جلست انا ويحيى بن زياد الى فتى من أهل الكوفة ينسب الى الصبوة ويكتم ذاك ، ففاوضاه ، واخذنا في اشعار العرب ووصفها البيد وما أشبه ذلك ، فقال (اي الرجل) :

لاحسن .... (البيتان) » (٣) .

٢ ـ في انعطاف المؤلف الى الغزل في المذكر وحديثه عن الحسين بن الضحاك الخليع يرى « ان احدا لم يكتب في التغزل بالمذكر مثلما كتب الحسين بن الضحاك حتى ليعتبر الشاعر الاول في هذا الفن في القرن الثاني ... وتغزل الحسين بن الضحاك من النوع المعنوي ، فهو اذن بعيد عن الافحاش الذي نجده عند ابي نواس واضرابه . وربما كان السبب في ذلك عمل الخليع نفسه كنديم للخلفاء ، فافحاشه يسقطه عند العامة ويؤلب الخلفاء عليه » (ص ٥٢٢) .

ليس ينكر ان الخليع كان من ابرز شعراء الغزل في المذكر في القرن الثاني الهجري ، وقد شارك فيه في جميع اتجاهاته (٤) ، لكنه لم يكن في منأى عن الغزل الفاحش الذي ابعده عنه الدكتور المؤلف ، وان يكن اقل مرتبة فيه من أبي نواس . يبدو ان الذي حمل المؤلف على عد غزل الخليع في المذكر « معنويا » ، وحمل الدكتور احمد عبد الستار الجواري من قبله الى تشبيهه بالغزل العذري اعتمادهما على « الاغاني » فقط في الاستشهاد بشعر الشاعر ، فلو كان شعر الخليع مجموعا مثلما هي الحال الآن (٥) لكان للباحثين رأي آخر .

مهما يكن من أمر ، ففي شعر الخليع ما يبعده عن ان يكون في عداد المعنويين ، اليك هذه الابيات من قصيدة في غلامه « يسر » (٦) :

(. . . . .)

وثمة قصائد اخرى (٧) على هذا المنوال يشرح فيها الخليع كيفية التوصل الى الغلمان .

أما عن « معنوية » الغزل في المذكر باصطلاح هدارة ، او «عذريته» باصطلاح الجواري ، فاحسب ان الحديث عن هذا الموضوع ضرب من وضع الشيء في غير نصابه ، لان الغزل في المذكر من اساسه نزعة غريبة وشاذة ، وهي نزعة بعيدة كل البعد عن الطبيعة الانسانية التي نزهها الله منها ومن امثالها . ورحم الله سعدي الشيرازي شاعر الفرس الكبير الذي كان يسفه في « بستانه » عادة التودد والتحبب الى الغلمان والمرد التي كانت رائجة في عصره ، ويسخر بشدة ممن يدعون العفة والطهر في هذا النوع من العشق ويطعن فيهم (٨) . ولله در

---

(١) من هذه المؤلفات المطبوعة على سبيل المثال :

١ ـ الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، للدكتور أحمد عبد الستار الجواري .

٢ ـ الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري ، للدكتور أحمد كمال زكي .

٣ ـ حياة الشعر في الكوفة حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، للدكتور يوسف خليف .

(٢) نشرته دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٧١ م .

(٣) الاغاني (دار الكتب) ١٣ : ٣٢٢ .

(٤) راجع : اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ٢٢٤ ـ ٢٤٠ .

(٥) جمع اشعار الخليع وحققها الاستاذ عبد الستار احمد فراج ، ثم طبعت ببيروت عام ١٩٦٠ م .

الدكتور يوسف خليف الذي يقول : « وبطبيعة الحال لم يكن في هذا اللون من الغزل شيء من صدق العاطفة ولا من كذبها ، لان المجال ليس مجالا عاطفيا على الاطلاق ، ولكن المسألة من اولها الى آخرها نزعة شاذة منحرفة من نزعات الجسد . فالحديث فيها لا يمكن الا ان يكون حديثا جسديا منحرفا مثلها » (٩) .

٣ ـ في بحث الغزل العفيف ، عثر المؤلف على شعراء له غير شاعره المشهور العباس ابن الاحنف ، فاضاف بهذا جديدا الى ما عرف عن هذه الفترة (١٠) ، وقد كنت ممن أفادوا من هذا الجديد في فصل « الغزل العفيف » من كتابي « اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري » الذي تتبعت فيه الشعراء الذين دلنا عليهم الدكتور هدارة وتقصيت أخبارهم ما استطعت الى هذا سبيلا ، فسجلت كل ما استطعت استنتاجه مما عثرت عليه من شعرهم .

غير ان ما لفت انتباهي في هذا الموضوع قول المؤلف وهو يتكلم على الشاعر المؤمل بن جميل ابن ابي حفصة ابن عم الشاعر مروان بن أبي حفصة : « ويبدو انه ـ اي المؤمل ـ استنفد شعره في حبيبة واحدة ـ لا نعرف اسمها ـ » (ص ٥٠٨) .

صحيح ان المصادر التي ذكرت المؤمل وترجمت له لم تذكر اسم المرأة التي كان يحبها ، ولم تكشف عن هويتها او ما يخبر عنها من قريب ولا من بعيد ، لكنه يتضح انها كانت تسمى « زينب » ، بدليل ورود هذا الاسم في ابيات للشاعر ذكرها أبو الفرج في « اغانيه » ، قال المؤمل : (١١)

يا آح من حر الهوى انما — يعرف حر الحب من جربا
أصبحت للحب أسيرا ، فقد — صعدني الحب وقد صوبا
لا شك اني ميت حسرة — ان لم أزر قبل غدي « زينبا »
تلك التي ان نلتها لم أبل — من شرق الدهر او غربا

المؤلف معذور في هذا ، لانه لم يطلع على اخبار المؤمل الا في « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي ، و « معجم الشعراء » للمرزباني، بدليل انه لم يذكر في فهرس شعراء القرن الثاني من المصادر التي ترجمت للمؤمل او ذكرت شيئا من اخباره وشعره سوى هذين المصدرين . (انظر ص : ٦٤٠ من الكتاب) .

٤ ـ وقع المؤلف عن بيتين للشاعر ابي شبل عاصم بن وهب في امرأة سوداء ، فتهلل لهذا وطرب وعده ظاهرة جديدة في الغزل العربي فقال : « ولم يعد للجمال مقياس مثالي ثابت يحتذيه الشعراء جميعا ، ولكنهم تصرفوا في هذا العصر في وصفهم فاخضع كل منهم مقياس الجمال لذوقه الخاص .... ، ولكن وجد في القرن الثاني شاعر يتغزل في المرأة السوداء وهو أبو الشبل عاصم بن وهب » (ص ٥٢٨) .

(٧) انظر على سبيل المثال : اشعار الخليع ص ٨٢ ، ٨٨ .

(٨) راجع مقال : « جهان مطلوب سعدي دربستان » أي « عالم سعدي المنشود في البستان » للدكتور غلامحسين يوسفي . مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة مشهد ـ ايران . العدد الثاني ـ السنة السابعة ١٣٥٠ ش ـ وقد ترجمت هذا المقال الى العربية .

(٩) حياة الشعر في الكوفة ٢ : ٥٨٧ .

(١٠) كان الدكتور شوقي ضيف ممن يعتقدون انه لم يكن في العصر العباسي من شعراء العفة سوى العباس بن الاحنف (الفن ومذاهبه في الشعر العربي ٦٤ ـ الطبعة السادسة ـ) . غير انه عاد وقال ـ وربما أفاد من كتاب الدكتور هدارة ـ « ... وطبيعي ان يضعف هذا التيار في العصر العباسي الاول الذي قلما عرف الشعراء فيه العفة والطهر . ومع ذلك فقد بقيت له بقية عند العباس بن الاحنف وعند بعض الشعراء الذين هاموا ببعض الجواري وضرب بينهم وبينهن حجاب صفيق فعاشوا يتعذبون بالحب وعاش الحب في قلوبهم قويا حادا » (العصر العباسي الاول ٣٧١) .

(١١) الاغاني (ساسي) ١٦ : ١٦٦ .

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل. ل.

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي
٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل. ل. كحد ادنى
في الخارج : ٨٠ ل. ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير أديب

نحن مع المؤلف في ان الغزل بالسوداوات من جديد القرن الثاني ، لكن ابا الشبل المذكور لم ينفرد به . روى أبو الفرج انه كانت لبشار بن برد – وهو من مخضرمي الدولتين – جارية سوداء وفيها يقول :

وغـادة سوداء براقة ... كالماء في طيب وفي لين
كانها صيغت لمن نالها ... من عنبر بالمسك معجون(١٢)

وروى أبو الفرج أيضا انه كانت لابي الشيص الخزاعي جارية سوداء يتعشقها اسمها « تبر » ، يقول فيها : (١٣)

لم تنصفي يا سمية الذهب ... تتلف نفسي وانت في لعب
يا ابنة عم المسك الذكي ومن ... لولاك لم يتخذ ولم يطب
ناسبك المسك في السواد وفي الريح ، فاكرم بذاك من نسب

كذلك كان الشاعر ابن ابي الزوائد يهوى جارية سوداء اسمها « حجيج » ، كانت مولاة الصهيبيين ، لكنه لم يتعرض الى لونها فيما قال فيها من شعر (١٤) . يضاف الى ما تقدم ما اورده ابن قتيبة من ابيات في هذا الضرب من الغزل غير منسوبة الى اصحابها ، سوى بيت واحد قال انه لابي حازم المدني (١٥) ، اما الابيات الاخرى فاغلب الظن انها لشعراء محدثين لانها لمعانيهم اقرب وباساليبهم اشبه . (١٦)

تلكم هي الملاحظات الموضوعية ، وثمة بضع ملاحظات شكلية لا تغض من قيمة الكتاب او تقلل من جهد مؤلفه ، ولست اهدف من وراء ذكر امثلة لها سوى ما سبق ان قلت ان لهذا الكتاب منزلة خاصة عندي :

١ – كم كنت اتمنى ان يعيد المؤلف الكريم النظر في كتابه قبل دفعه الى المطبعة ليطبع مرة ثانية ، ففي مقدمته اشياء يستحسن التخلص منها هي :

١ – (ص ١٠) : لم يميز المؤلف على ما عرف عنه من دقة في أبحاثه ونقده بين « مصدر » و « مرجع » مع ان هذا التمييز ضروري وواجب في الدراسات العلمية الاكاديمية خاصة .

٢ – (ص ١٥) : ذكر المؤلف ان رسالتي كل من احمد عبدالستار الجواري ، واحمد كمال زكي اللتين أشرت اليهما في مستهل هذا المقال قد نشرتا ، لكنه لم يشر الى نشر رسالة الدكتور يوسف خليف عن « حياة الشعر في الكوفة حتى نهاية القرن الثاني الهجري » التي صدرت عن الدار القومية بالقاهرة عام ١٩٦٨ م ، أي قبل ان يعاد طبع هذا الكتاب .

٢ – ص ٢٨٥ : أتيت كتاب بروكلمان المعروف في الهامش وفي فهرست المصادر والمراجع (ص ٦١١) باسم « تاريخ آداب اللغة العربية » في حين ان الكتاب مترجم باسم « تاريخ الادب العربي » .

٣ – هذا القسم من الملاحظات يرتبط ببضعة استعمالات لغوية ونحوية خالف فيها المؤلف الاستعمالات المتبعة في العربية :

١ – استعمل الفعل « اعتبر » وما يتصرف عنه كثيرا ، من مثل قوله : « ولكننا نعتبر ان التطور الفني الذي حدث اساسه ... » (ص ٤٣٣) وقوله « ... والذين يعتبر شعرهم بدويا ... » (ص ٨٣) . (انظر ايضا : ص ٤١٨ ، ٤٢١) .

الحق ان هذا الاستعمال شائع جدا في الاساليب العربية الحديثة على ألسنة الادباء واقلامهم ، والصحيح ان يستعاض عنه بالفعل « عد » وما يتصرف عنه .

(١٢) الاغاني ٣ : ١٩٣ وقد اورد النويري بيتين لبشار في هذا الضرب أيضا (نهاية الارب ٢ : ٤١) .

(١٣) الاغاني ١٦ : ٤٠٦ .

(١٤) الاغاني ١٤ : ١٢٢ .

(١٥) عيون الاخبار ٤ : ٤٠ – ٤٣ .

(١٦) راجع : اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ٣٥٠–٣٥١

٢ – ما اكثر ما يستعمل المؤلف الفعل « وصل » غير متعد بحرف الجر « الى » . فهذا الفعل لا يتعدى بنفسه ، نقول « وصل الينا » لا « وصلنا » . من الامثلة على استعمالات المؤلف هنا قوله : « ولعل اول شعر وصلنا ... » (ص ٢٩٠) ، وقوله في حديثه عن الشاعر محمد بن يسير البصري « وقد وصلنا شعر له يدل ... » (ص ٣٠٨). (انظر ايضا : ص ٣١٣ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨) .

٣ – يقول المؤلف : « اذن فاطار الاتجاهات الموضوعية في شعر القرن الثاني كان جديدا بعيدا عن الاطار الجاهلي القديم ، بل والاطار الاسلامي ... » (ص ١٧٣) .

لا يجوز في عرف النحو والنحويين استعمال حرفي عطف متتاليين مثلما هو الامر في « بل والاطار ... » . الصحيح ان يقال « بل الاطار الاسلامي » ، فالواو ليست زائدة فحسب ، بل لا داعي لها اطلاقا .

يقودنا هذا الى القول بان الدكتور المؤلف يستعمل (الواو) حشوا بكثرة ، من مثل قوله : « فكل ما يتعلق بالصحراء أصبح بعيدا عن الحياة العربية في القرن الثاني في الحواضر والمدن ذات القصور العالية والبساتين الفيحاء ، (والتي) تجلت فيها مظاهر ... » (ص ٤٥٤) ثم انظر ايضا (ص ٤٥٦) .

فهل ثمة ضرورة ل « الواو » حتى تقحم على الاسم الموصول « التي » اقحاما ؟ وهل من معطوف عليه يستوجب هذا ؟!

٤ – من الملاحظات اللغوية التي لم يجزها القدامى ، والتي لم يجربها العرف اللغوي القديم ادخال المؤلف « الالف واللام » على « بعض » في قوله : « والبعض الاخر يدرس بشارا وأبا نواس » (ص ١٥) ، واستعمال « الكلام عن » بدلا من « الكلام على » في قوله : « ولعل خير ما نختم به الكلام عن الشعر المذهبي ... » (ص ٣٥٣). ما جرى عليه الاستعمال اللغوي القديم عدم ادخال « أل » على « بعض » و « غير » و « كل » (١٧) وان اجازها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في احدى جلساته . ومما جرى به العرف اللغوي القديم ايضا استعمال « الكلام على » لا « الكلام عن » . (١٨) .

٤ – آخر هذه الملاحظات ما يتعلق ببعض الكلمات الفارسية التي وردت في ابيات بعض شعراء هذا القرن ، من مثل قول ابي الينبغي في البرامكة :

انما الدنيا كبيض ... عملوه « نيمرش »

قال المؤلف (هامش ص ٨٠) : ان معنى كلمة « نيمرش » الفارسية « مشوي نصف شي » . غير ان « تخم مرغ نيمرو » بالفارسية هو « البيض المقلي نصف قلي » . (١٩)

وعذر الدكتور هدارة هنا انه لا يعرف الفارسية ، وانه نقل معنى الكلمة نقلا حرفيا عن الاستاذ عبد الستار احمد فراج محقق « طبقات الشعراء » لابن المعتز حيث اخبار ابي الينبغي المذكور . (٢٠)

من هذا أيضا ، ما قاله المؤلف في تعليق له على قصيدة لابي نواس ذكر فيها « القسوس » من ان « القسوس جمع قس وهو تعريب كشة » (هامش ص ١٠٥) .

الصحيح ان « قس » تعريب « كشيش » . (٢١) .

(١٧) و (١٨) عالجت هذين الامرين بمزيد من التفصيل في مقال لي بعنوان « نظرات لغوية في بعض مقالات العدد العاشر من مجلة الاقلام». مجلة الاقلام العراقية . السنة الاولى . العدد (١٢) ١٩٦٥ م .

(١٩) انظر : فرهنك فارسي (المعجم الفارسي) للدكتور محمد معين .

(٢٠) طبقات الشعراء ١٣١ .

(٢١) انظر : فرهنك فارسي السابق .

يوسف حسين بكار
جامعة مشهد – ايران

من أروقة القضاء

تأليف فهد ابو العثم – ٢٠٠ صفحة – قطع كبير – المطبعة الاردنية في عمان

القضاء ينتقل الى الادب ، والمحكمة تخرج من سريتها الى العلن ، ومن الشهود المعدودين ، الى القراء العديدين .

وهذه خطوة جميدة ، تشرك الجمهور الكبير في مشاهدة ما يعرض على دور القضاء من قضايا اجتماعية ، في الكثير منها مآس تنخر في جسم المجتمع ، وتبرز عيوبه مجسمة صارخة .

وفي يقيني ان عرض مثل هذه القضايا الاجتماعية على الجمهور القارىء انما يفتح العيون على حقائق مجهولة لدى الاكثرية ، ولا يجوز ان تظل معرفتها محصورة بين القضاء ، وجهات الدعاء ، والشرطة ، والسجن ، بل يجب ان يشترك المجتمع كله في معرفتها ، وفي معالجتها . ولعل الاقلام القديرة الحصيفة خير ما يعالج هذه القضايا ، ولا سيما حين تبرزها باسلوب معبر ، يكشفها بصدق وبراعة معا .

ولقد فعل الاستاذ فهد ابو العثم ذلك ، فجمع في كتابه « من أروقة القضاء » عددا غير قليل من القضايا التي سبق ان عالجها بنفسه بحكم القاضي ، ولكنها ظلت تعتمل في صدره طويلا ، حتى اذا انتقل من القضاء الى المطبوعات ، رأى الفرصة سانحة لاخراجها من ملفات القضاء ، وراح ينشر صحائفها ببراعة الاديب .

وحسبك ان تفتح صفحة الفهرس اولا ، وتقرأ عناوين القضايا التي جمعها في كتابه ، لترى خطورة هذه القضايا الاجتماعية ، وضرورة عرضها على الجمهور القارىء . خذ مثلا :

انتحار الزوجة بعد تسميم اولادها
الشابة زوجة الرجل العجوز
السيدة الظالمة والخادمة البريئة
رجل يعاقر الخمر وزوجتاه في عراك دموي
خرج من السجن فقتل ابنته

امرأة واحدة لزوجين
افترس الطفلة ثم قتلها

هذه بعض العناوين ، وهناك تسعة وثلاثون عنوانا ، كل عنوان منها لمأساة اجتماعية عالجها القاضي أولا ، وعاد يعالجها الكاتب ثانيا .

والقارىء لا شك يعرف الكثير من مثل هذه الحكايات ، ولكنه يعرفها حدثا اجتماعيا ، وجدير بها ان يعرفها حكاية أدبية ، يعرضها قلم القاضي الاديب : القاضي الذي عالجها ضمن حدود القانون ، والاديب الذي جاء اليوم يعرضها في نطاق العمل الادبي الهادف ، بأسلوب ادبي بارع ، قوي التعبير ، جميل العرض ، جذابه .

بعض هذه القضايا المآسي سببه الجهل ، وبعضها سوء التربية ، وبعضها الطمع ، وبعضها الحاجة التي تدفع الى كل محظور ، وبعضها سوء الانظمة الاجتماعية ، وبعضها سوء العادات الاجتماعية . وهكذا تجد لكل قضية ولكل مأساة سببا يكمن في ضمير المجتمع نفسه . والقضاء وحده عاجز عن ان يعالجها المعالجة التي تقضي على اسبابها . واذن قد يكون القلم وسيلة تدفع الى علاجها اجتماعيا ، بشكل يعالج الاسباب قبل النتائج .

خذ مثلا ما جاء في حكاية « الرجل البسيط يكتب ذكرياته » . فقد جاء في تلك الذكريات أن « المتهم كان ساخطا على مجتمعه الذي لم يأخذ بيده ليخلصه من شراك الفقر الذي خنقه . وضرب مثلا صديقه الاجنبي الذي ساعدته جمعية أجنبية ، وامدته بالمال ، فاصبح صاحب مصنع بعد ان كان اسوأ منه حالا واكثر فقرا ... المتهم ساخط في مذكراته على المسؤولين : ويصفهم بانهم نفعيون لا هم لهم سوى تحقيق مصالحهم ومكاسبهم » .

ويعلق الكاتب على ذلك بقوله : « ولقد استوقفني كثيرا ما أشار اليه صاحب المذكرات من مد يد المعونة والمساعدة لصديقه الاجنبي ، وكيف ان جمعيات تؤسس ، ومؤسسات تقام لدى الاجانب لتأخذ بيد الضعيف والفقير ، وتمده بالمال اللازم ، حتى اذا اجتاز مرحلة الضعف والفقر ، اصبح من ذوي المال او اصحاب الشأن ، وصار من العاملين لتقوية مجتمعاتهم ، وانقاذ ابناء امتهم » .

ثم يختم تعليقه وحكايته معا بقوله : « ويبقى الفقر آفة خطيرة يتعدى سوء اثرها الى الفرد ، والمجتمع ، والاسرة ، والامة ، والفكر ، والثقافة » .

هذا الكلام كله لم يقله القاضي فهد ابو العثم ، حين عرضت عليه القضية ، لان مهمته كانت مقتصرة على تطبيق القانون على المجرم الماثل امامه متهما بقتل زوجته التركية . ولكن الذي قاله هو فهد ابو العثم الكاتب ، بعد ان مضى زمن على قول كلمة القضاء في القضية ، واستطاع هنا ان يتجرد من منصب القاضي ، ومن القوانين التي عليه ان يطبقها ، واصبحت القضية عنده قضية فرد ومجتمع ، او قضية فرد يصارع مجتمعا ويريد ان يعيش ، والمجتمع يخذله ، ويدفع به الى الجريمة .

القاضي حكم على المتهم وادانه بجريمة القتل ، اما الكاتب فقد دافع عنه والصق التهمة بالمجتمع . وشتان ما بين الموقفين ، وان يكن كلاهما عادلا في موقفه !

هذا نموذج واحد سقته هنا ، وقصدي ان اقول ان الاستاذ فهد ابو العثم قد احسن كثيرا بتدوين حكايات هذه القضايا العديدة الخطيرة في كتاب ، فقد صور المجتمع فيه من جوانب متعددة ، قال في كل منها كلمة الكاتب والمفكر الاجتماعي ، بعد ان كان قد قال فيها من قبل كلمة القانون والقضاء ، خلال ثلاث عشرة سنة من عمله في حقل القضاء .

هناك ملاحظة لا بد لي من ان اسوقها قبل ان اختم هذه الكلمة :

لقد كنت أود لو روى الاستاذ المؤلف حكاياته ، وترك الحكم لها او عليها للقراء ، دون ان يجعل في ختام كل واحدة منها شروحا ، قد تطول وقد تقصر ، ولكنها كانت ، في الواقع ، تضعف جو الحكاية . ان

مثل هذه الخواتيم والتعليقات نوع من الوعظ والارشاد ، والوعظ والارشاد لم يعد لهما مكان في العمل الادبي ، بل هما من عوامل اضعاف العمل الادبي ، في زمن كثر فيه الذين يستطيعون التفكير ، دون اعتماد على من يفكر لهم ، ويحكم نيابة عنهم .

ومع ذلك يظل العمل الذي قدمه الاستاذ المؤلف جديرا بالتقدير الكثير ، وبان ياخذ مكانه في المكتبة الاردنية والعربية عامة .

عمان ـ الاردن **عيسى الناعوري**

•

الطريق الى القدس

تاليف شوقي خير الله ـ ٢٩٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتب الدراسات العلمية ببيروت

سألت أحد الموهوبين مرة وهو مرجع كبير في التاريخ والادب ، « ما هي الموهبة ؟ » أجاب « الموهبة هي ارادة واستعداد وسهر وممارسة ومثابرة على التحصيل والاجتهاد » . ومثل هذا التحديد صدر عن ـ هوديني ـ وفنونه السحرية الساحرة . من هذه الاقانيم المباركة تكونت موهبة شوقي خير الله ، ومن سحر هذه ـ الموهبة ـ عانق القلم بالسيف ووفق بين قساوة الجندية ورقة الشعر والادب وتفوق في الميدانين .

لن أرقن صفحات ـ وأنا ضد العدو الترقيم ـ لاختيار الشواهد والكلمات فكلها مختارة ، ولو حاولت الاختيار لاضطررت لنقل كل الكتاب . مهمتي ادخالك الحديقة وعليك ان تفتش بين كومات الورد والزهور وموجات الشذا والعطور . علي ان اقدم لك الشممة ومفتاح القلعة ولك حرية التجوال بين ـ القواويش ـ والباحات والمطابخ الشهية ـ الزوادة ـ والاقبية والدهاليز والممرات ..

انها رحلة شائقة قمت بها ـ بمضافة بو علي قبل ان اقدم لك الشممة والمفتاح .

عشرات الكتب قرأتها وعدت اليها مرات ، حول موضوع ثورات التحرير وحروب العصابات والعصيان . معظمها لكبار القادة والمصلحين، عبر التاريخ القديم والحديث و « المعارك الفاصلة في التاريخ » ولم أجد فيها ، كلها ، ما وجدته يفيدنا بحربنا مع اسرائيل مثل هذه الدروس القيمة ويرشدنا الى طريق القدس خلال معركتنا المصيرية الفاصلة لتحرير فلسطين .

كما تجسدت دروس ، مدرسة الحياة ، وتعاليمها ، حياة فاعلة بالناس ، ومواكب صراع تمشي تحت طبقات الثرثرة والصياح صفوفا بديعة النظام ، على دروب الحياة .. هكذا يجب ان تتقمص احاديث بو علي شوقي ودروسه ، جرائد كفاح ، وزمر فداء ، وجيش تحرير.. بل عصابات قتال وحرب وفتك وتدمير ، تنطلق من خنادق الحق ومتاريس الايمان ، فرق مجانين وفروج جان ، واشبال اسود .. تزرع الرعب والموت والدمار بقلب التنين الصهيوني ـ ومن هم وراء هذا التنين ـ الذي اغتصب منا الارض وشرد العرض ، وهو يحاول قلشنا وابتلاع ارضنا بكاملها ليشيد على انقاضنا ، « مملكة اسرائيل من الفرات الى النيل » .

كل مواطن ، ذكرا كان ام انثى ، من ابناء شعبنا ، يجب ان يقرأ هذا الكتاب ، ومتى قرأ و ـ افتهم ـ وتحركت برأسه النخوة القومية واستفاق ضميره والوجدان يصبح القزم عملاقا والشليل ماردا جبارا فيحمل نفسه وينطلق الى المتراس وعلى كفه ، دمه وديعة الامة فيه ، وبروحه « البطولة المؤمنة المؤيدة بصحة العقيدة » وبذهنه القاعدة الذهبية ، « ان العصابات الفدائية تتمون من عدوها ومستودعات تموينها مخازن العدو » .

شوقي خير الله يغرف من ـ الينبوع ـ ويشرب ويرتوي ، ولقد بلغ انتاجه حوالي ـ دزينة ـ من الكتب القيمة المفيدة بين مطبوع ومخطوط ، والقلائل من طلاب مدرستنا من استوعب مثل شوقي واعطى الانتاج الغزير من صميم المقلع الاصيل ، وعبر عن مضمون الرسالة بمثل هذه الطلاقة والبساطة والوضوح والانفتاح .

كل هذا بلغة سليمة شائقة وتعابير جديدة مشرقطة راقصة لا هي قاموسية زمخشرية متقعرة ، ولا هي عامية اقليمية منكمشة ، بل هي لغة الحياة ، يفهمها الطفل ، ويهضمها ـ الختيار ـ وتكرج على السنة الناس ـ بكل كيانات الوطن ـ مع موجات الشعر برقرقة الصفا ورفق العاصي وهدير الشلالات .

ـ الطريق ـ الى القدس وكل فلسطين ، والى جميع كيانات الوطن السليبة ، ليست من موسكو ، ولا من واشنطن ولا من اية عاصمة عالمية و ـ بو علي شوقي ـ وهو الخبير باستراتيجية الارض ، ومعابر الدروب وفنون الحرب والقتال يذكرنا ويذكر الجميع ، بان الطريق من هون الى القدس وفلسطين ، ويردد تلك الصرخة الداوية الى الاجيال التي لم تولد بعد ـ يا هو .. من هنا الطريق .. من صميم هذه الارض ، مهد الحضارات ، وخالقة العبقريات وحاضنة البطولات وباعثة الرسالات وام الفتوحات .

الثورة الاصلية لا تأكل اولادها ولا تعقم نشاط عباقرتها ولا تحكم على نفسها بالموت والفشل والانتحار . لتستحق لعنة التاريخ .

والنهضة المباركة التي لها مثل هذا الخزين الذي غرف من ينبوعه شوقي خير الله ، وقد تمرس بالعقل الواعي ، والفكر المنظم والزخم الجبار ، لا خوف عليها من العقم والانتكاس ، ولا بد لها ـ ولو طال المشوار ـ من الفوز والنجاح والانتصار واسترجاع فلسطين .

عجاج المهتار

•

احلام على الرصيف المجروح

تأليف الدكتور بديع حقي ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

في هذه الرواية البديعة يتخطى الدكتور بديع حقي كل الهنات اليسيرة التي ظهرت في مجموعة قصصه « التراب الحزين » أو في روايته الاولى « جفون تسحق الصور » ويتراءى لعيني القارىء هنا في روايته الجديدة « احلام على الرصيف المجروح » روائيا عملاقا يقف في صف الروائيين العالميين جنبا الى جنب ، بهي الطلعة وضاح الجبين ، موفور الكرامة ، جزيل الاحترام والتقدير .

واذا كنا قد سمحنا لانفسنا باستخدام كلمة هنات فاننا نرى اننا مبالغون باستخدام هذه الكلمة ، اذ لم نجد كلمة سواها فاخترناها مع علمنا اننا نلحق باستخدامها بعض الظلم ، بالدكتور بديع حقي « وهو اجل من ان يلحق به حيف أو ينزل به ضيم » .

ولكنني أقول للحق والتاريخ ، انني على شدة اعجابي بأدب الدكتور وبقصصه وبشخصيات تلك القصص ، ووضوح ملامحها ومدى كمالها ، كنت اشعر ببعض الضيق من شدة اناته في انتقاء الكلمات فاقول في نفسي :

ليت الدكتور بديع حقي يرخي ليراعه العنان ، ويترك نفسه على سجيتها ، لينطلق ايما انطلاق ، ويحلق ايما تحليق بخياله المبدع الخصيب وبعاطفته الثرة الخلاقة .

كان ذلك مجرد امنية لم افاتح بها صديقي الدكتور بديع حقي ولعل حبي للرجل الكبير وتقديري لادبه الرفيع ، ولمقامه السامي هو الذي جعلني اغض الطرف حياء دون هذه الامنية .

ومع اطلالة الربيع في اذار (١٩٧٣) تاتي روايته الجديدة « احلام على الرصيف المجروح » لتحقق امنيتي على اجمل صورة تمنيت ، واذا بها بين يدي قطعة ادبية رائعة ، تتألق اسلوبا وعاطفة وخيالا ووطنية وانسانية ، وتتحلى بمناقب الدكتور واخلاقه السامية وسموه الانساني البديع .

الكلمة فيها لم تعد مجرد كلمة ، بمقدار ما اصبحت فراشة زاهية الاهاب متناظرة الالوان تشع نورا وبهاء ، وتتضوع عطرا وشذا الكلمة اصبحت مخلوقا عضويا كامل الخلق متناسق المعنى رفاف الخيال ، وضاح الاسارير .

كل حرف مغموس في عطر أخاذ ، ينعش النفس بشذاه الفواح .

لقد ترك الدكتور بديع حقي اخيرا لخياله العنان وفتح مغاليق ذاته الثرة ومتح منها ادبا خلاقا جديرا بالبقاء والخلود .

فروايته هذه ليست رواية ، بمقدار ما هي قصيدة رائعة تنسرب في سيمفونيتين اخاذتين متوازنتين تسيران جنبا الى جنب بانسجام رائع من اول الرواية الى اخرها .

ولعل اجمل ما في هذه الرواية ، ان الدكتور حقي استطاع ان يصوغ من هواجس لاجيء فلسطيني فقير هذه الملحمة الرائعة .. ملحمة الحنين الى ارض الاباء والاجداد ، ملحمة الشوق الى المدافن القديمة في الوطن السليب ، كما يتضمن الشق الثاني من الملحمة الدعوة الى تحرير التراب الحزين وتخليصه من ايادي الغاصبين الظالمين .. وهو من خلال هذا وذاك يعرض مأساة الانسان الفلسطيني وبؤسه وشقاءه ، ويصور شدة الظلم والتعسف اللذين لحقا به ، في مسيرته الدامية طيلة ربع القرن الماضي .

« فأبو أحمد » لاجيء فلسطيني من اهالي حيفا .. جاء الى دمشق اثر نكبة فلسطين بعد ان اصيب بعاهة مستديمة في ساقه من جراء رصاص اليهود يوم احتلالهم لمدينة « حيفا » مخلفا مزرعة والده الشيخ ووطنه الاثير ومصدر رزقه ، وأماكن طفولته ومطارح سمره ، يجيء الى دمشق ليمتهن مهنة « صبغ الاحذية » في احدى شوارع « المدينة » ويشاء القدر لهذا الانسان المسكين ، ان يستلب منه زوجته « فاطمة » فتتوفى ، اثناء ولادتها لطفلها « جميل » تاركة له .. ولدا شابا اسمه « احمد » يتوجه الى الكويت في حال وصوله الى دمشق ليفتش له ولاهله عن رزق كريم .. كما تترك له فتاة صغيرة اسمها « زينب » تصاب هي الاخرى بعاهة مستديمة في ساقها ، بعد سقوطها عن سلم في دارها الكائنة بحارة « قولي » في دمشق وزاد الطين بلة « جميل » هذا الطفل الصغير ، الذي كان الاب يصطحبه معه اثناء عمله ، فيضعه الى جانبه في صندوق خشبي ، اعطاه اياه احد المحسنين في حين يترك ابنته المشلولة في البيت ..

هذه هي الاسرة ، الفلسطينية البسيطة المتواضعة بكامل افرادها .. اسرة نكب ربها ببلده وأرضه .. وبزوجته وبساقه .. وساق ابنته .. وعاش تتنابه الهواجس الشريفة من آن لاخر .. اذ يطل عليه شبح زوجته فاطمة .. وتتردد اللازمة الحلوة .. التي تعطي الرواية نفس الملحمة ، وشكل السمفونية « محمد يا محمد . نعم يا فاطمة . ليتني مت في حيفا يا محمد . قد أموت هنا يا محمد فاذا عدت الى بيتنا في حيفا فلملم عظامي وادفنها هناك في مقبرتنا بالمحلة الشرقية ، ستعيشين يا فاطمة يا حبيبتي فاطمة » .

ويمعن الدهر الخؤون في ابتلاء هذا الرجل البائس ، ففي ذات صباح ، بينما كان يمسح حذاء احد زبائنه ، يخرج الفتى الصغير « جميل » من صندوقه الخشبي ليقطع الشارع الى الرصيف الاخر فتمر سيارة « باص » مسرعة .. فتدهسه ويتجمهر الناس على الصبي ، في حين ينهمك الاب في مسح الحذاء .. ولكن قلبه ينتفض صوب موقع المصيبة فيهب ليرى جسد طفله الصغير ممزقا ودماؤه الزكية تخضب ارض الشارع .

ولا تسل عن لوعة هذا المسكين ، فقد كان يطمح في خياله ان يرى « جميلا » طبيبا ... يداوي عاهة شقيقته المقعدة زينب ... ويهرب بطفله الى المستشفى مجنون الخطا ، مخلوع اللب ، هائم الفؤاد ولكن دونما جدوى . اذ يتوفى الطفل ، ويدفن الى جانب امه فاطمة .. بعد ان يوصيها الاب بولدها وصية مؤثرة تستدر الدموع .

وتتحرك الرواية الان في مسار جديد ، وتعوج لتصور لنا بامانة وصدق بعض امراض مجتمعنا المزمنة ... فمن أم شحادة السمسارة التي تحاول الحصول على حصتها من دية الطفل الى أبي صطيف صاحب البيت الذي يطالب برفع اجرة الغرفة ويدبر حيلة ليتهم ابا احمد بالسرقة ويجره الى المخفر الى المحامي عصام الحمصاني الذي يحصل من الدية على حصة الاسد ، فئة مريض من الناس .. ليس لها وازع من خلق او ضمير لا هم لها الا الحصول على المادة ، ولو كان ثمن دم طفل فلسطيني بائس ..

واذا كنت لا اريد ان الخص مخازي امثال هؤلاء الناس على هذه الصفحات .. فلكي اترك لقارىء الرواية الفرصة لمعايشة امثال هؤلاء ولو على صفحات الرواية وليضع الاصبع على الجرح النزاز .

وتمر الايام تباعا ، ويظل ابو احمد على هواجسه تلك يردد الشق الثاني من السمفونية الحزينة :

فين الارض يا بوي	فين أرض العرب
ضاعت الارض يا بوي	وبقي الثأر والغضب

وتحل نكسة حزيران ، كريهة سوداء ، ويطل برعم أخضر يحمل بعض الامل مع رياح العمل الفدائي ، ويرى « ابو احمد » ان بامكانه ان يحقق امنية زوجته في نقل رفاتها ورفات ولدها جميل الى مقبرة « حيفا » في المحلة الشرقية ..

ويستيقظ ذات صباح على قرع الباب فيهب ليرى ولده « احمد » عاد من الكويت وقد انخرط في صفوف العمل الفدائي ، بعد ان رزق مالا من الكويت يكفي الاسرة ، واختار له الزوجة المناسبة .

وتقف الرواية عند ذلك مرددة وصية الزوجة « محمد يا محمد.. نعم يا فاطمة » .

هذا هو ملخص سريع لهذه الرواية الرائعة التي تقع في مائة وست وسبعين صفحة من الحجم الكبير والتي تحمل من المعاني الانسانية ، والاشواق والحنين الى الارض ما ينوء بحمله جبل شاهق من جبال فلسطين كالكرمل او الجرمق . فالرواية مضمخة بعبير زهر البرتقال ، يتنسم القارىء من خلالها رائحة فلسطين المقدسة ، بكل ما في رائحتها من جلال وقدسية ..

والفلسطيني من خلالها يظهر مسحوقا ، عاجزا ضعيفا مفلتا العنان لاحلام اليقظة ، ولاحلام المنام ، يفتش في سره عن طريق الخلاص دون جدوى ، اذ تنوخ عليه هموم لا قدرة له عليها .. فتنوء عليه بكلكلها الثقيل فيقع مسلوب الارادة تحت وطأة الظلم .. وكأنه لا حراك به .

يسوق الدكتور بديع حقي كل ذلك في اسلوب شعري مبدع .. مليء بالحركة والصور الجميلة الرائعة والتشخيص البديع .. فصندوق (البوية) منجم ثر للالوان والزجاجات مصفوفة كعشر جوار ، والحذاء الابيض حمامة بيضاء ، ترف وتتخطر فوق الرصيف ، والحذاء الاسود غراب رشيق فاحم .. او « أشبه برأس جارية سوداء متصل بعنق ناهضة طويلة ، تتهادى من الفودين ضفيرتان قلقتان مرتجفتان ، ثم تنعقدان فوق الجبين ، ويتراءى انفها الافطس مجدوعا ، وعيناها غائرتين منطفئتين ولسانها ممتدا منبسطا الى عل انها تريد ان تمسح وجنتيها بطلاء أسود ، رجاة أن يلمع ويتألق » .

اما ربع الليرة الذي يتناوله اجرا على مسح الحذاء فهو بحيرة

فضية متلألئة ، فوق منبسط صحراء موحشة مقفرة .

والعصفور « لولو » يقفز خفيفا جذلان كأنه لؤلؤة صفراء طائرة .

والفتاة الصغيرة « رجاء الصفدي » تنقل خطواتها مثل ملاك هبط من السماء ليمشي على الارض .

هذا غيض من فيض نقتبسه هنا كما يأخذ المتنزه وردة من خميلة غناء ، الا أنني لا يسعني الا ان أهمس في اذن صديقي الدكتور بديع حقي ان تشبيه الشارع « باللحية تمشطها الباصات والسيارات والدراجات الهادرة الصاخبة ، ويعبث بأطرافها بعض المشاة والكلاب الشاردة » لم يعجبني قط ، وان كان مثل هذا التشبيه يعجب صديقه الشاعر شوقي بغدادي .

هذا عن الاسلوب: أما عن العاطفة والخيال فلا تسل عن مدى عمق الاحاسيس الانسانية التي تتخلل الرواية من اولها الى اخرها ، وعن مدى صدق هذه العواطف والاحاسيس ... فالحقيقة ان الدكتور حقي كان في هذه الرواية انسانا كبيرا يتمتع بعاطفة نادرة وخيال خلاق .. وأسلوب رائع .. يستحق على كل ذلك الخلود ، والوقوف بجدارة الى جانب طاغور الذي احبه وترجمه ولا شك ان النظير منجذب الى النظير ..

فسلام عليك يا سيدي الجليل ، ورحمة من الله وبركات وجزاك الله عن فلسطين واهلها خير الجزاء لما اسديت لهما ولهم من جميل لا يرد وصنيع لا يكافأ .. والى لقاء آخر في عمل ادبي فريد ..

دمشق — **خليل خلايلي**

•

بيكاسو المليونير الصعلوك

تأليف كمال الملاخ ـ العدد ١٥ في سلسلة مطبوعات الجديد ـ ٢١٠ صفحات الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة

يوم الاحد ٨ ابريل ١٩٧٣ سيصبح تاريخا معلوما في تاريخ الفن . يوم قطعت موجات راديو باريس برامجها ظهر ذلك اليوم لتعلن للعالم اجمع وفاة اشهر واغنى فنان عرفته الدنيا : « بيكاسو » .

ظل بيكاسو يرسم وينحت في عزلته الهادئة بالقرب من نيس عند شاطىء الريفييرا الفرنسية حتى آخر رمق في حياته بعيدا عن الصخب ولمعة الاضواء والضجيج ـ على عكس زميله ومواطنه الاسباني « المتأمرك » سلفادور دالي . كان يعيش في هدوء مع زوجته السابقة جاكلين التي يقارب عمرها (٤٧ سنة) نصف عمره . واحاط اسوار حديقة بيته ذات المستويات بأسلاك الكهرباء لكي تصعق كل فضولي يريد ان يقتحم خلوته او يسرق بعض فنه الثمين كالكنز .

بيكاسو : رأى المجد والشهرة والذهب يتدفق الى يديه .

ولكن هل كان سعيدا ؟ يتساءل كمال الملاخ .. ويجيب في نفس الوقت :

لو قلت نعم .. فان الحقيقة ليست معي
ولو قلت لا .. فان الصدق سيبعد عني

في هذا الكتاب « بيكاسو : المليونير الصعلوك » .. ستقرأ رحلة حياة بيكاسو .. بأسلوب غاية في العذوبة والسلاسة .. هو اسلوب الصحفي المصري كمال الملاخ . لا شك انك تعرفه . فهو محرر الباب اليومي « بدون عنوان » على الصفحة الاخيرة في « الاهرام » المصرية . وهو الذي اكتشف « مراكب الشمس » و « اول كوبري في التاريخ » واعاد اقامة اقدم مسلة في مصر . واول مصري معاصر يرمم اهرام مصر وابو الهول وبرج العرب وجزيرة فيلة في نيل النوبة .

... واكثر من ذلك له سبعة عشر كتابا منها « صالون من ورق » و « النار والبحر » و « حول الفن الحديث » و « ٥٠ سنة من الفن » و « صقر الحرية » . ولقد اهدته مصر جائزة الدولة لادب الرحلات .

بقي ان نسأل .. لماذا عنون المؤلف كتابه بـ « بيكاسو : المليونير الصعلوك » .

يقول المؤلف في المقدمة :

« ... لقد احترت لحظة في اختيار عنوان هذا الكتاب . قلت لاصدقاء اعتز بآرائهم وسألت : بيكاسو : المليونير الصعلوك . افضل . ام .. بيكاسو : الصعلوك المليونير ؟

واختلف الرأي . قال نصفهم : العنوان الاول فيه رنين .

ورد النصف الاخر : عنوانك الثاني فيه منطق وتنسيق . واخترت « الرنين » قبل المنطق . فهكذا في رأيي ان يكون العنوان . له رنين . له صوره . خاصة وان كان « بيكاسو » هو موضوع كتاب .

وبيكاسو الفنان لم يكن دائما مع العقل . وانما ما هو وراء العقل . ليس دائما مع المنطق يخطو حياته ، وانما مع الالهام والرؤى واللاوعي . على جسر القلق والغيرة والانانية حتى التمزق . عاري الصدر . عاري القدمين . متناسيا الزمن والزمان » .

وقد جاء هذا الكتاب في طبعة انيقة . وغلاف ساحر بريشة الفنان المصري الاشهر صلاح عبد الكريم . الا ان هناك بعض الاخطاء المطبعية القليلة . وكثيرا من الاخطاء اللغوية التي اعتقد ان السرعة في الكتابة والطباعة كانت السبب الاول فيهما . فقد مات بيكاسو في ٨ ابريل . وصدر هذا الكتاب القيم الذي يؤرخ لحياته . وفنه . وحبه في ٥ مايو. أي بعد اقل من شهر .

الزقازيق ـ مصر — حسين علي محمد